الأعمال السياسية الكاملة

لنزار قباني

الأعمال السياسية الكاملة

منشورات نزار قباني
ص . ب ٦٢٥٠
بيروت

نزار قباني

الأعمال السياسية الكاملة

الجزء الثالث

لأَنّي لا أمْسَحُ الغُبَارَ عن أحذية القياصِرَهْ
لأنني أقاومُ الطاعونَ في مدينتي المُحَاصَرهْ
لأنَّ شعري كلَّهُ
حَرْبٌ على المَغُول .. والتتار .. والبَرَابِرَهْ
يشتُمُني الأقزامُ والسماسِرَهْ ...

نزار

إيضـــاحٌ إلى قـــرّاء شعــري

...ويقولُ عنّي الأغبياءُ :
إنّي دخلتُ إلى مقاصيرِ النساءِ .. وما خَرَجتْ
ويُطالبونَ بنصب مشنقتي ..
لأنّي عن شؤون حبيبتي .. شِعْراً كتبتْ
أنا لم أُتَاجرْ ـ مثلَ غيري ـ بالحشيشِ ..
ولا سَرَقْتُ ..
ولا قَتَلْتُ ..

لكـنَّني .. أحْبَبْتُ في وَضَح النهارِ ..
فهل تُراني قد كَفَرتْ ؟ ؟

* * *

ويقولُ عنّي الأغبياءْ :
إنّي بأشعاري ، خَرَجْتُ على تعاليم السماءْ
مَـنْ قالَ إن الحُبَّ عدوانٌ على شَرَف السَـمَاءْ ؟
إنَّ السماء صديقتي ..
تبكي إذا أبكي ..
وتضحكُ إن ضَحِكتْ ..

وتَزيدُ أنجُمُها بريقاً ..
إنْ أنا يوماً عشقتُ ..
ماذا .. إذا غنَّيتُ باسم حبيبتي ؟
وزَرَعْتُها في كُلّ عاصمةٍ
كغابة كَسْتَنَاءْ ..

* * *

سأظلُّ أحترفُ المحبَّةَ
مثلَ كُلِّ الأنبياءْ
وأظلُّ أحترفُ الطفولةَ ، والبراءةَ
والنقاءْ ..

وأظلُّ أكتُبُ عن شؤون حبيبتي
حتى أُذوِّبَ شَعْرَهَا الذهبيَّ في ذَهَب المَسَاءْ
وأنا ـ وأرجو أن أظلَّ كما أنا ـ
طفلاً يُخَرْبِشُ فوق حيطان النجوم كما يشاءْ
حتى يصيرَ الحُبُّ في وطني بمرتبة الهواءْ
وأصيرَ قاموساً لطُلّاب الهوى
وأصيرَ فوق شفاههمْ
ألِفَـاً وباءْ ...

خبزٌ وحشيشٌ وقمر

١

عندما يُـولَدُ في الشرق القَـمَرْ
فالسطوحُ البيضُ تغفو
تحت أكْدَاسِ الزَهَرْ
يتركُ الناسُ الحوانيتَ ، ويمضونَ زُمَرْ
لِمُـلاقاةِ القَـمَرْ ..

يَحْمِلُونَ الخُبزَ .. والحاكي .. إلى رأسِ الجبالْ
ومُعِدَّاتِ الخَـدَرْ
ويبيعونَ ، ويشرونَ خيالْ
وصُوَرْ ..
ويموتونَ إذا عاشَ القَـمَرْ ..

٢

ما الذي يَفعَلُهُ قُرْصُ ضياءْ ؟
ببلادي ..
ببلاد الأنبياءْ ..
وبلادِ البُسَطَاءْ ..
ماضغي التَبْغ ، وتُجَّارِ الخَدَرْ

ما الذي يفعلُـهُ فينا القَـمَرْ ؟
فَـنُضيعُ الكبرياءْ
ونعيشُ لنستجدي السماءْ
ما الذي عند السماءْ ؟
لكسالى ضُعَـفَاءْ
يستحيلونَ إلى موتى إذا عاش القَـمَرْ

وَيَهُزُّونَ قبورَ الأولياءْ
علَّها ترزقُهُمْ رُزّاً .. وأطفالاً ..
قبورُ الأولياءْ
ويَمُدُّونَ السجاجيدَ الأنيقاتِ الطُرَرْ
يتسلُّونَ بأفيونٍ نُسَمِّيهِ قَدَرْ
وقضاءْ ..
في بلادي ،
في بلاد البُسَطَاءْ ..

٣

أَيُّ ضَعْفٍ وانحلالْ
يَتَولّانا إذا الضوءُ تدفَّقْ
فالسجاجيدُ .. وآلافُ السِلَالْ
وقداحُ الشاي ..
والأطفالُ ..
تحتلُّ التِلالْ
في بلادي
حيث يبكي الساذجُونْ
ويعيشون على الضوء الذي لا يُبْصِرُونْ

في بلادي ..
حيثُ يحيا الناسُ من دون عيونْ ..
حيثُ يبكي الساذجُونْ
ويُصَلُّونَ ..
ويَزْنُونَ ..
ويحيونَ اتِّكالْ
منذُ أن كانوا ..
يعيشُونَ اتِّكالْ ..

ويُنَادونَ الهلالْ

« يا هِلَالْ :
أيُّها النَبْعُ الذي يُمْطِرُ ماسْ
وحشيشاً .. ونُعَاسْ
أيُّها الربُّ الرُخَاميُّ المُعلَّقْ
أيُّها الشيءُ الذي ليس يُصَدَّقْ
دُمْتَ للشرقِ .. لنا ..
عُنْقُودَ ماسْ ..
للملايينِ التي قد عُطِّلَتْ فيها الحواسْ .. »

٤

في ليالي الشرق لمَّا يبلغُ البدرُ تَمَامَهْ
يتعرَّى الشرقُ من كُلِّ كرامَهْ
ونِضَال
فالملايينُ التي تركضُ من غير نِعَالِ
والتي تؤمِنُ في أَرْبَعِ زَوْجَاتٍ..
وفي يوم القيامَهْ..
الملايينُ التي لا تلتقي بالخبز إلّا في الخيالِ
والتي تسكنُ في الليلِ بيوتاً من سُعَالِ
أبداً ما عرفتْ شكلَ الدواءْ..
تتردَّى جُثَثاً تحت الضياءْ

في بلادي .. حيثُ يبكي الأغبياءْ
ويموتُـونَ بُـكَاءْ
كُلَّما طالَعَـهُـمْ وجْـهُ الهلالِ
ويزيدونَ بُكَـاءْ
كُلَّما حركَّـهُمْ عُودٌ ذليلٌ .. و« ليالي »
ذلكَ الموتُ الذي ندعوه في الشرق « ليالي » .. وغناءْ
في بلادي في بلاد البُسَطَاء
حيثُ نجترُّ التواشيحَ الطويلَهْ
ذلكَ السُلُّ الذي يفتكُ بالشرق .. التواشيحُ الطويلَهْ
شَرْقِنا المُجْتَرِّ تاريخاً وأحلاماً كسُولَـهْ
وخرافاتِ خوالي ..
شَرْقِنا الباحثِ عن كُلِّ بُطُولَـهْ
في أبي زيد الهلالي ..

لندن ١٩٥٤

قصةُ راشيل شوارزنبرغ

أكتُبُ للصغارْ ..
للعرب الصغار حيث يُوجَدونْ
لهُمْ ،
على اختلاف اللونِ ،
والأَعمارِ ،
والعيونْ
أكتُبُ للذينَ سوف يُولَدونْ

لهُمْ أنا أكتُبُ ..
للصغارْ ..
لأعينٍ يركُضُ في أحداقها النهارْ
أكتُبُ باختصارْ
قِصَّةَ إرهابيّةٍ مُجَنَّدَهْ
يدعونَها (راشيلْ)
قضَتْ سنينَ الحرب في زَنْزَانَةٍ منفرِدَهْ
شيَّدَها الألْمَانُ في براغْ

كان أبُوها قَذِراً من أقذر اليهودْ
يزوِّرُ النُقُودْ
وهي تُديرُ منزلاً للفُحْشِ في براغْ
يقصده الجُنُودْ..

* * *

وآلتِ الحربُ إلى ختامْ
وأُعْلِنَ السَلَامْ
ووقَّعَ الكبارْ
أربعةٌ .. يلقبّونَ نفسَهم كِبَارْ
صكَّ وجود الأمم المُتَّحِدَهْ

* * *

... وأبْحَرَتْ من شرق أوروبا
مع الصباحْ ...
سفينةٌ تلعنُها الرياحْ
وجْهَتُها الجنوبْ
تغصُّ بالجرذان ، والطاعونِ ، واليهودْ
كانوا خليطاً من سُقاطة الشعوبْ
من أرض بولندا ،
من النمسا ..
من استمبولَ ،
من براغْ ..

من آخر الأرضِ ، من السعيرْ
جاؤوا إلى موطننا الصغيرْ
موطِنِنا المُسَالِم الصغيرْ
فلطّخوا ترابَنا
وأعدموا نساءَنا
ويتَّموا أطفالَنا
ولا تزالُ الأُمَمُ المتَّحدهْ
ولم يزل ميثاقُها الخطيرْ
يبحثُ في حريّة الشعوبْ
وحقِّ تقرير المصيرْ
والمُثُلِ المُجرَّدَهْ

* * *

فليَـذْكُرِ الصِغَارْ ..
العربُ الصغارُ حيث يُوجَدونْ
من وُلدوا منهُمْ ، ومَنْ (سَيولَدُونْ)
قصّةَ إرهابيّةٍ مجنَّـدَهْ
يدعُونَها (راشيلْ)
حلَّتْ محلَّ أُمِّيَ الممدَّدَهْ
في أرض بيّارتِنا الخضراء في الجليلْ
أُمّي أنا الذبيحةُ المُسْتَشْهَدهْ ..
وليذْكُرِ الصغارْ ..
حكايةَ الأرض التي ضيَّـعَها الكبارْ ..
والأُمَـمُ المتَّحدهْ ..

* * *

أكتُبُ للصغارْ
قصَّةَ بئرِ السبعِ ، واللطْرُونِ ، والخليلْ
هل يذكُرُ الليمونُ في الرملةَ ،
في اللدِّ ..
وفي الجليلْ
أختي التي علَّقَها اليهودُ في الأصيلْ
من شعرها الطويلْ
أختي أنا نُوارْ
أختي أنا الهتيكةُ الإزارْ

أختي التي ما زال جرحُها الطليلْ
ما زال بانتظارْ
نهارِ ثأرٍ واحدٍ..
نهارِ ثارْ..
على يد الصغارْ
جيلٍ فدائيٍّ من الصغارْ
يعرفُ عن نُوارْ
وشَعْرِها الطويلْ
وقَبْرِها الضائعِ في القفارْ
أكثرَ مما يعرفُ الكبارْ..

* * *

أكتُبُ للصغارْ
أكتُبُ عن يافا ، وعن مرفئها القديمْ
عن بقعةٍ غالية الحجارْ
يُضيءُ بُرْتُقَالُها كَخيْمَة النُجُومْ
تضمُّ قَبْرَ والدي ..
وإخوتي الصغارْ
هل تعرفونَ والدي ؟ .
وإخوتي الصغارْ ؟

إذْ كان في يافا لنا ، حديقةٌ ودارْ ..
يلفُّها النعيمْ ..
وكان والدي الرحيمْ
مزارعاً شيخاً يُحِبُّ الشمسَ والترابْ
والله ، والزيتونَ ، والكُرُومْ
كان يُحِبُّ بيتَهُ ..
وزوجَهُ ..
والشَجَرَ المُثْقَلَ بالنجومْ ..

* * *

.. وجاءَ أغْرابٌ مع الغيابْ
من شرقِ أوروبا ..
ومن غياهب السجونْ
فأَتْلَفُوا الثمارْ ..
وكسَّروا الغصونْ
وأشعلوا النيرانَ في بيادر النجومْ
والخمسةُ الأطفال في وُجُومْ
والليلُ في وجومْ ..
واشتعلتْ في والدي كرامةُ الترابْ
فصاح فيهم : إذهبوا إلى الجحيمْ
لن تسلبوا أرضيَ يا سُلَالةَ الكلابْ ! !

* * *

... وماتَ والدي الرحيمْ
بطَلْقةٍ سدَّدَها كلبٌ من الكلابْ
عليه ، ماتَ والدي العظيمْ
في الموطن العظيمْ
وكَفُّهُ مشدودةٌ شَدّاً إلى التُرَابْ
فليذكُرِ الصغارْ
العربُ الصغارُ حيثُ يوجَدونْ
مَنْ وُلِدُوا منهُمْ .. ومَنْ سَيُولَدُونْ
ما قيمةُ التُرابْ
لأنَّ في انتظارهمْ معركةَ التُرَابْ ...

١٩٥٥

رسـالةُ جنـديٍّ
في جبهة السـويس

الرسالة الأولى
١٩٥٦/١٠/٢٩

يا والدي !
هذي الحروفُ الثائرَهْ
تأتي اليكَ من السُوَيْسْ
تأتي إليكَ من السُوَيْس الصابرَهْ
إنّي أراها يا أبي ، من خندقي ، سُفُنَ اللُصُوصْ
محشودةً عند المضيقْ
هل عادَ قُطَّاعُ الطريقْ ؟
يتسلَّقُونَ جدارَنا ..
ويُهدِّدونَ بقاءَنا ..
فبلادُ آبائي حَرِيقْ ..

إنِّي أراهُمْ ..
يا أَبي ، زُرْقَ العيونْ ..
سُودَ الضَمَائرِ ..
يا أبي ، زُرْقَ العيونْ
قُرْصَانُهُمْ ، عَيْنٌ من البلّلور ، جامدةُ الجُفُونْ
والجُنْدُ في سطح السفينةِ ..
يسكَرُونَ .. ويشْتُمونْ ..
فرغتْ براميلُ النبيذِ .. ولا يزالُ الساقطونْ
يتوعَّدُونْ ..

الرسالة الثانية

١٩٥٦/١٠/٣٠

هذي الرسالةُ يا أبي ..
مِنْ بُور سعيدْ
أمْرٌ جديدْ
لكتيبتي الأولى ، ببدء المعرَكَهْ
هَبَط المظلّيُّونَ خلفَ خُطُوطنا ..
أَمْرٌ جديدْ ..

هبطوا كأرتالِ الجَراد ،
كسِرْب غربانٍ مُبيدْ ..
النصفَ بعد الواحدَهْ ..
وعليَّ أن أُنْهي الرسالَهْ
أنا ذاهبٌ لمهمتّي ..
لأردَّ قُطَّاعَ الطريق ، وسالبي حريّتي ..
لكَ ..
للجميعِ ..
تحيّتي ...

الرسالة الثالثة
١٩٥٦/١٠/٣١

.. الآنَ .. أفْنَيْنَا فُلُولَ الهابطينْ
أبَتَاهُ ،
لو شاهدتَهُمْ يتساقطونْ
كثمار مشمشةٍ عجوزْ ..
يتساقطونْ ..
يتأرجحونْ ..
تحتَ المِظلّاتِ الطعينةِ
مثلَ مشنوقٍ تدلّى في سُكُونْ ..

وبنادقُ الشعبِ العظيمِ ، تصيدهُمْ
زُرْقَ العيونْ
لم يبقَ فلّاحٌ على محراثِهِ ، إلا وجاءْ ...
لم يبقَ طفلٌ ، يا أبي ، إلّا وجاءْ ..
لم يبقَ سِكّينٌ .. ولا فأسٌ .. ولا حَجَرٌ على كتِفِ الطريقْ
إلّا وجاءْ ..
ليرُدَّ قُطّاعَ الطريقْ
ليَخُطَّ حرفاً واحداً ..
حَرْفاً بمعركة البقاءْ ..

الرسالة الرابعة

١٩٥٦/١١/١

ماتَ الجرادْ ..
أَبَتاهُ ، ماتتْ كلُّ أسراب الجرادْ
لم تبقَ سيّدةٌ ..
ولا طفلٌ ..
ولا شيخٌ قعِيدْ
في الريفِ ، في المُدُن الكبيرةِ ،
في الصعيدْ ..

إلّا وشاركَ يا أبي
في حَرْق أسراب الجرادْ
في سَحْقِهِ ،
في ذبحهِ حتى الوريدْ
هذي الرسالةُ ، يا أبي ، من بور سعيدْ .
من حيث تمتزجُ البطولةُ بالجراح وبالحديدْ
مِنْ مصنع الأبطال أكتُبُ يا أبي ..
مِنْ بور سعيدْ ..

جميلة بوحيرد

١

الإسمُ : جميلةُ بوحَيْرَدْ
رَقَمُ الزنْزَانَةِ : تِسْعُونا
في السجن الحربيّ بوَهْرَانْ
والعمرُ : إثنانِ وعِشْرُونا
عينانِ كقنديليْ معبَدْ
والشَعْرُ العربيُّ الأسودْ
كالصيفِ ، كشلَّال الأحزانْ

إبريقٌ للماء .. وسجَّانْ
ويدٌ تَنْضَمُّ على القُرآنْ
وامرأةٌ في ضوء الصُبْحِ ..
تَسْتَرْجِعُ في مثل البَوْحِ
آياتٍ مُحْزِنَةَ الإرْنَانْ
مِنْ سُورةِ (مريَمَ) ..
و(الفَتْحِ) ...

٢

الإسمُ : جميلةُ بو حَيْرَدْ
أجملُ أُغنيةٍ في المَغْرِبْ
أطولُ نَخْلَهْ
لَمَحتْهَا واحاتُ المغْرِبْ
أجملُ طِفْلَهْ
أتْعَبُتِ الشمسَ، ولم تَتْعَبْ
يا ربيّ. هل تحتَ الكوكَبْ؟
يوجد إنسانْ
يرضى أن يأكُلَ.. أن يَشْرَبْ
من لحم مُجَاهدةٍ تُصْلَبْ..

٣

أضواءُ (الباستيل) ضئيلَهْ
وسُعالُ امرأةٍ مَسْلُولَهْ
أكلَتْ من رئتيها الأغلالْ
أَكَلَ الأنذالْ ..
(لاكوستُ) ، وآلافُ الأنذالْ
من جيش فرنسا المغلوبَهْ
إنتَصَروا الآنَ على أُنثى ..
أُنْثَى كالشَمْعة مصلوبَهْ

القَيْـدُ يعضُّ على القَدَمينْ
وسجائرُ تُـطْفَأُ في النهدينْ
ودمٌ في الأنف..
وفي الشفتينْ..
وجراحُ جميلةَ بو حَيْردْ
هي والتحريرُ.. على موعِدْ..

مِقْصَلَةٌ تُنْصَبُ .. والأشرارْ
يلهونَ بأُنثى دونَ إزارْ
وجميلةُ ، بين بنادقهمْ
عصفورٌ في وَسَط الأمطار ..
الجَسَدُ الخمريُّ الأسمَرْ
تنفضُهُ لمسَاتُ التيَّارْ
وحُروقٌ في الثدي الأيْسَرْ
في الحَلْمةِ ..
في .. في .. يا للعارْ ..

٤

الإسمُ : جميلةُ بو حَيْرَدْ
تاريخُ ترويهِ بلادي
يحفظهُ بعدي أولادي
تاريخُ امرأةٍ من وطني
جَلَدتْ مقصلةَ الجلَّادِ..

إمرأةٌ دَوَّخت الشمسا
جرحتْ أبعادَ الأبعادِ
ثائرةٌ من جبل الأطْلَسْ
يذكرُها اللَّيْلَكُ والنرجِسْ
يذكُرُها زَهَرُ الكبَّادِ ..
ما أصغرَ (جانْ دارْكَ) فَرَنْسا
في جانب (جانْ دارْك) بلادي ...

١٩٥٧

الحبُّ والبترول

١

متى تَفْهَمْ ؟
متى يا سيِّدي تَفْهَمْ ؟
بأنّيّ لستُ واحدةً ..
كغيري ، من صديقاتِكْ
ولا فَتْحَاً نسائيّاً يُضاف إلى فتوحاتِكْ
ولا رَقَماً من الأَرقام .. يعبُرُ في سِجِلَّاتِكْ
متى تفهَمْ ؟

٢

متى تَفْهَمْ ؟
أيا جَمَلاً من الصحراء لم يُلْجَمْ ..
ويا مَنْ يأكُلُ الجُدَرِيُّ منكَ الوجهَ والمِعْصَمْ ..
بأنيّ لن أكونَ هنا ..
رماداً في سجاراتِكْ
ورأساً .. بين آلاف الرؤوس على مخدَّاتِكْ
وتمثالاً تزيدُ عليه في حُمَّى مزاداتِكْ ..
ونَهْداً فوق مرمرِهِ .. تسجِّلُ شَكْلَ بَصْماتِكْ ..
متى تفهَمْ ؟

٣

متى تفهَمْ ؟
بأنّكَ لن تُخَدِّرني ..
بجاهِكَ ، أو إماراتِكْ ..
ولَنْ تتملَّكَ الدُنيا ..
بنفْطكَ .. وامتيازاتِكْ
وبالبترول ، يعبَقُ من عباءاتِكْ
وبالعَرَباتِ تطرحُها على قَدَميْ عشيقاتِكْ
بلا عَدَدٍ .. فأينَ ظُهُور ناقاتِكْ ؟ .

وأينَ الوَشْمُ فوق يديْكَ ؟
أينَ ثُقُوبُ خَيْماتِكْ ؟
أيا مُتَشَقِّقَ القدميْنِ .. يا عَبْدَ انفعالاتِكْ
ويا مَنْ صارت الزوجاتُ بعضاً من هواياتِكْ
تُكدِّسُهُنَّ بالعشَرَات فوق فراش لذَّاتِكْ ..
تُحنِّطُهُنَّ كالحَشَراتِ ..
في جدران صالاتِكْ ..
متى تَفْهَمْ ؟

٤

متى يا أيُّها المُتْخَمْ ؟
متى تَفْهَمْ ؟
بأنيِّ لستُ من تَهْتَمْ
بنارِكَ أو بجنَّاتِكْ
وأن كرامتي أكْرَمْ
من الذَهَبِ المكدَّسِ بين راحاتِكْ
وأن مناخَ أفكاري ، غريبٌ عن مناخاتِكْ
أيا مَنْ فرَّخَ الإقطاعُ في ذرَّات ذرَّاتِكْ
ويا مَنْ تخجلُ الصحراءُ حتّى من مناداتِكْ
متى تَفْهَمْ ؟

٥

تَمرَّغْ يا أميرَ النفْطِ ..
فوقَ وُحُول لذَّاتِكْ
كمَمْسَحَةٍ ..
تمرَّغْ في ضلالاتِكْ
لكَ البترولُ ، فاعصُرْهُ
على قَدَمَيْ خليلاتِكْ
كهوفُ الليل في باريسَ قد قَتَلَتْ مُرُوءاتِكْ ..
على أقدام مومسةٍ هناكَ ..
دفنتَ ثاراتِكْ ..

فبِعْتَ القُـدْسَ ..
بِعْتَ اللهَ ..
بِعْتَ رمادَ أمواتِكْ
كأنَّ حِرَابَ إسرائيلَ لم تُجهِضْ شقيقاتِكْ
ولم تهدُمْ منازلَنا ..
ولم تُحْرِقْ مصاحفَنَـا ..
ولا راياتُها ارتفعتْ ..
على أشلاء راياتِكْ ..

كأنَّ جميعَ مَنْ صُلِبُوا ..
على الأشجار في يافا .. وفي حيفا ..
وبئرِ السَبْع .. ليسوا من سُلالاتِكْ
تغوصُ القدسُ في دمها ،
وأنتَ صريعُ شَهْوَاتِكْ
تنامُ .. كأنّما المأساةُ ليستْ بعضَ مأساتِكْ
متى تفهَمْ ؟
متى يستيقظُ الإنسانُ في ذاتِكْ ؟

١٩٥٨

هـوامشُ ..
على دفـتر النكسة

١

أَنْعي لكُمْ ، يا أصدقائي ، اللُّغَـةَ القديمَهْ
والكُتُبَ القديمَهْ
أَنْعي لكُمْ :
كلامَنَا المَثْقُوبَ كالأحذية القديمَهْ
ومُفْرداتِ العُهْرِ ، والهجاءِ ، والشتيمَهْ ..
أَنْعي لكُمْ ..
أنعي لكُمْ ..
نهايةَ الفِكْرِ الذي قادَ إلى الهزيمَهْ .

٢

مالِحَةٌ في فمنا القصائدْ
مالِحَةٌ ضفائرُ النِسَاءْ
والليلُ ، والأستارُ ، والمَقَاعِدْ
مالحةٌ أمَامَنا الأشياءْ ..

٣

يا وَطَني الحزينْ
حَوّلتَني بلحظةٍ
من شاعرٍ يكتُبُ شِعْرَ الحُبِّ والحنينْ
لشاعرٍ يكتُبُ بالسِكّينْ..

٤

لأنَّ ما نُحِسُّهُ
أكبَرُ من أوراقِنا ..
لا بُدَّ أن نَخْجَلَ من أشْعَارِنا

٥

إذا خَسِرْنَا الحربَ ، لا غَرَابَهْ
لأنَّنا ندخُلُها
بكلِّ ما يملِكُهُ الشَرْقيُّ من مواهب الخِطابَهْ
بالعَنْتَرِيَّاتِ التي ما قَتَلَتْ ذُبابَهْ
لأنَّنا ندخُلُها
بمنطق الطَبْلَةِ والرَبَابَهْ ..

٦

السِرُّ في مأساتِنا
صراخُنا أضْخَمُ من أصواتِنا
وسيفُنا ..
أطْوَلُ من قَامَاتِنا ..

٧

خُلاصَةُ القضيَّـهْ
تُوجَزُ في عبارَهْ
لقد لبِسْنَا قِشْرةَ الحضارَهْ
والروحُ جاهليَّهْ ...

٨

بالناي والمِزْمارْ
لا يحدثُ انتصارْ ...

٩

كلَّفَنا ارتحالُنَا
خمسينَ ألفَ خَيْمةٍ جديدَهْ ..

١٠

لا تَلْعَنُوا السَمَاءْ
إذا تخلَّتْ عنكُمُ
لا تَلْعَنُوا الظُروفْ
فاللهُ يُؤتي النَصْرَ من يشاءْ
وليسَ حدَّاداً لديكُمْ ..
يَصْنَعُ السُيُوفْ ..

١١

يُوجِعُني أَنْ أسمَعَ الأنباءَ في الصَبَاحْ
يُوجِعُني ..
أَنْ أسمَعَ النِبَاحْ ...

١٢

ما دَخَلَ اليهودُ من حُدُودنا
وإنَّما ..
تَسَرَّبُوا كالنَمْل من عُيُوبِنَا ..

١٣

خمسةُ آلاف سَنَهْ ..
ونحنُ في السِرْدَابْ
ذُقُونُنَا طويلةٌ
نُقودُنَا مجهولَةٌ
عيونُنا مرافيءُ الذُبابْ ..

يا أصدقائي :
جَرِّبُوا أن تكسروا الأبوابْ
أن تغسلوا أفكاركُمْ
وتغسِلُوا الأثوابْ
يا أصدقائي :
جَرِّبُوا أن تقرأوا كِتَابْ ..
أن تكتُبُوا كتابْ ..

أن تزرعُوا الحُرُوفَ ..
والرُمَّانَ ..
والأعْنَابْ ..
أن تُبْحِرُوا إلى بلاد الثلج والضَبَابْ
فالناسُ يجهلونكُمْ ..
في خارج السِرْدَابْ
الناسُ يحسَبُونَكُمْ
نوعاً من الذِئابْ ...

١٤

جُلودُنا ميِّتَةُ الإحسَاسْ
أرواحُنا تشكو من الإفلاسْ
أيَّامُنا تدورُ بين الزارِ ..
والشَطْرَنْجِ ..
والنُعَاسْ ..
هَلْ (نحنُ خَيْرُ أُمَّةٍ قد أُخْرِجَتْ للناسْ) ؟ ؟

١٥

كانَ بُوسْعِ نفْطِنَا الدافِقِ في الصحاري
أن يستحيلَ خنجراً ..
من لَـهَبٍ ونارِ
لكنَّـهُ ..
واخَجْلَةَ الأَشرافِ من قُرَيْشٍ
وخَجْلَةَ الأحرار من أَوْسٍ ومن نِزَارِ
يُراقُ تحتَ أرجُلِ الجواري ..

١٦

نركُضُ في الشوارعِ
نحملُ تحتَ إبْطِنا الحِبَالا
نمارسُ السَحْلَ بلا تبصُّرِ
نُحَطِّمُ الزجاجَ والأقْفَالا
نمدحُ كالضفادعِ
نَشْتُمُ كالضفادعِ

نجعلُ من أقزامنا أبطالا
نجعلُ من أَشرافنا أنْذَالا
نرتجلُ البطولةَ ارتجالا
نقعدُ في الجوامعِ
تنابلاً ، كُسَالى
نُشَطِّرُ الأبياتَ ، أو نؤلِّفُ الأمْثَالا
ونشحذُ النصْرَ على عدوِّنا
من عندِهِ تَعَالَى ...

١٧

لو أَحَدٌ يمنحني الأَمَانْ
لو كنتُ أستطيعُ أن أقابلَ السُلْطَانْ
قلتُ لَهُ :
يا سَيِّدي السُلْطَانْ
كِلابُكَ المفترسَاتُ مَزَّقتْ ردائي
ومُخْبِرُوكَ دائماً ورائي ..

عُيونُهُمْ ورائي ..
أُنوفُهُمْ ورائي ..
أَقدامُهُمْ ورائي ..
يستجوبونَ زوجتي ..
ويكتُبُونَ عندهُمْ أسماءَ أصدقائي ..
يا حضرةَ السُلْطَانْ
لأنّني اقتربتُ من أسوارِكَ الصَمَّاءِ ..
لأنّني حاولتُ أن أكشفَ عن حُزْني وعن بلائي
ضُرِبتُ بالحِذَاءِ ..

أَرْغَمني جُنْدُكَ أن آكُلَ من حِذَائي ..
يا سيِّدي .. يا سيِّدي السلطانْ
لقد خسرتَ الحربَ مرتَّيْنْ
لأنَّ نصفَ شعبنا ليس له لِسَانْ
ما قيمةُ الشعب الذي ليس له لسَانْ ؟
لأنَّ نصفَ شعبنا محاصرٌ كالنَمْل والجُرْذَانْ
في داخل الجدرانْ ..

لو أحَدٌ يمنحُني الأمانْ
من عسكر السُلْطَانْ
قلتُ لهُ : يا حضرةَ السُلْطَانْ
لقد خسرتَ الحربَ مرتَّينْ
لأنَّكَ انفصلتَ عن قضيّة الإنسانْ

١٨

لو أنَّنا لم ندفن الوحدةَ في التُرَابْ
لو لم نُمزِّقْ جسمَها الطريَّ بالحِرابْ
لو بَقِيَتْ في داخل العيون والأهدابْ
لما استباحتْ لحمَنا الكِلابْ ..

١٩

نُريدُ جيلاً غاضباً
نُريدُ جيلاً يَفْلَحُ الآفاقْ
وينكُشُ التاريخَ من جُذُورهِ
وينكُشُ الفكْرَ من الأعماقْ
نريدُ جيلاً قادماً مختلفَ الملامحْ
لا يغفرُ الأخطاءَ .. لا يُسامِحْ
لا ينحني .. لا يعرفُ النفاقْ ..
نريدُ جيلاً ، رائداً ، عملاقْ ..

٢٠

يا أيُّها الأطفالْ :
من المحيط للخليجِ ، أنتُمْ سنابلُ الآمَالْ
وأنتُمُ الجيلُ الذي سيكسرُ الأغلالْ
ويقتُلُ الأفيونَ في رؤوسنا
ويقتُلُ الخيالْ ..

يا أيُّها الأطفالُ :
أنتُمْ ـ بَعْدُ ـ طَيِّبُونْ
وطاهرونَ ، كالندى والثلج ، طاهرونْ
لا تقرأوا عن جيلنا المهزُومِ ، يا أطفالْ
فنحنُ خائبونْ
ونحنُ ، مثل قِشْرة البطِّيخ ، تافهونْ
ونحنُ مَنْخُورونَ ..
مَنْخُورونَ ..
منخُورون كالنِعَالْ ..

لا تقرأوا أخبارَنا

لا تقبلوا أفكارَنا

لا تقتفوا آثارَنا

فنحنُ جيلُ القيءِ.. والزُهْريِّ.. والسُعَالْ..
ونحنُ جيلُ الدجْلِ، والرقْصِ على الحِبَالْ
يا أيُّها الأطفالْ:
يا مَطَرَ الربيعِ، يا سنابلَ الآمالْ
أنتُمْ بذورُ الخصْبِ في حياتنا العقيمَهْ
وأنتُمُ الجيلُ الذي سيهزمُ الهزيمَهْ....

١٩٦٧

المَمَثلون

١

حينَ يصيرُ الفِكْرُ في مدينةٍ
مُسَطَّحَاً كَحَدْوَةِ الحِصَانْ
مُدوَّراً كحَدْوةِ الحِصَانْ
وتستطيعُ أيُّ بندقيةٍ يرفعُها جبانْ
أن تسحقَ الإنسانْ

حين تصيرُ بَلْدَة بأَسْرها
مَصْيَدَةً .. والناسُ كالفئرانْ
وتُصْبحُ الجرائدُ المُوَجَّهَهْ
أوراقَ نَعْيٍ تملأ الحيطانْ
يَمُوتُ كلٌّ شيءْ ..
يموتُ كلٌّ شيءْ ..
الماءُ ، والنباتُ ، والأصواتُ ، والألوانْ
تهاجرُ الأشجارُ من جُذُورها
يهربُ من مكانه المكانْ
وينتهي الإنسانْ

٢

حينَ يصيرُ الحَرْفُ في مدينةٍ
حَشيشَةً يمنعها القَانُونْ
ويصبحُ التفكيرُ
كالبَغَاءِ ..
واللُّواطِ ..
والأفيونْ ..
جريمةً يطالُها القَانُونْ ..

حين يصيرُ الناسُ في مدينةٍ
ضفادعاً مفقوءةَ العُيُونْ
فلا يثورونَ ولا يشكُونْ
ولا يُغنُّونَ ولا يبكُونْ
ولا يموتونَ ولا يحيونْ
تحترقُ الغاباتُ ، والأطفالُ ، والأزهارْ
تحترقُ الثمارْ
ويُصبحُ الإنسانُ في موطَنِهِ
أذلَّ من صَرْصَارْ ..

٣

حين يصيرُ العدلُ في مدينةٍ
سفينةً يركبُها قُرْصانْ
ويصبحُ الإنسانُ في سريرِهِ
مُحاصَراً ، بالخوف والأحزانْ
حينَ يصيرُ الدمعُ في مدينةٍ
أكبرَ من مساحة الأجفانْ

يسقُطُ كلُّ شيءْ
الشمسُ ..
والنجومُ ..
والجبالُ ..
والوديانْ ..
والليلُ ، والنهارُ ، والبحارُ ، والشطآنْ ..
واللهُ ..
والإنسانْ ..

٤

حين تصيرُ خُوذَةٌ
كالربِّ في السَمَاءْ
تصنعُ بالعباد ما تَشَاءْ
تَمْعَسُهُمْ ..
تَهْرُسُهُمْ ..
تُميتُهُمْ ..
تَبْعَثُهُمْ ..
تصنعُ بالعباد ما تشاءْ

حين يصيرُ الحُكْمُ في مدينةٍ
نوعاً من البَغَاءْ
ويصبحُ التاريخُ في مدينةٍ
مَمْسَحَةً ..
والفِكْرُ كالحِذَاءْ
حين تصيرُ نَسْمةُ الهواءْ
تأتي بمرسومٍ من السُلْطَانْ

وحبَّةُ القمح التي نأكُلُها
تأتي بمرسومٍ من السُلْطَانْ
وقَطْرةُ الماء التي نشربُها
تأتي بمرسومٍ من السُلْطَانْ
حين تصيرُ أُمّةٌ بأسرها
ماشيةً تُعْلَفُ في زريبة السُلْطَانْ
يختنقُ الأطفالُ في أرحامهمْ
وتُجْهضُ النساءُ ..
وتسقُطُ الشمسُ على ساحاتِنا
مَشْنَقَةً سوداءُ ..

٥

متى سترحلونْ ؟
المسرحُ انهارَ على رؤوسكُمْ
متى سترحلونْ ؟
والناسُ في القاعة يشتمونَ .. يبصقُونْ ..
كانت فلسطينُ لكمْ
دجاجةً ، من بَيْضِها الثمينِ تأكُلُونْ ..
كانت فلسطينُ لكمْ
قميصَ عثمانَ الذي به تتاجرونْ

طُوبَى لكُمْ ..
على يديْكُمْ أصبحتْ حدودُنا
من وَرَق ...
فألفُ تُشْكرونْ ..
على يديْكُمْ أصبحتْ بلادُنا
إمرأةً مُبَاحَةً ..
فألفُ تُشْكَرونْ ..

٦

حربُ حُزَيْرَانَ انتَهَتْ ..
فكُلُّ حربٍ بعدَها ، ونحنُ طيِّبُونْ ..
أخبارُنَا جيِّدةٌ
وحالُنا ـ والحمدُ للهِ ـ على أحسنِ ما يكُونْ ..
جَمْرُ النراجيلِ .. على أحسنِ ما يكُونْ
وطاولاتُ الزَهْر ـ ما زالتْ ـ
على أحسنِ ما يكُونْ
والقَمَرُ المزروعُ في سمائِنا
مُدَوَّرُ الوجهِ ، على أحسنِ ما يكُونْ ..

وصوتُ فيروزَ ،
من الفردوس يأتي ،
« نحنُ راجِعُونْ » ..
تَغَلْغَلَ اليهودُ في ثيابنا
و« نحنُ راجِعُونْ » ..
صاروا على مِترَيْنِ من أبوابنا
و« نحنُ راجِعُونْ » ..
ناموا على فراشِنا ..
و« نحنُ راجعونْ » ..
وكلُّ ما نملكُ أن نقولَهُ
« إنّا إلى اللهِ لراجِعُونْ » ..

٧

حربُ حزيرانَ انتَهَتْ ..
وحالُنا ـ والحمدُ للهِ ـ على أحسنِ ما يكُونْ
كُتَّابُنا على رصيف الفكر عاطِلونْ
من مطبخ السلطان يأكُلُونْ
بسيفه الطويل يضربُونْ
كُتَّابُنا ، ما مارسوا التفكيرَ من قُرُونْ
لم يُقْتَلُوا ..
لم يُصْلَبُوا ..
لم يقفوا على حدود الموت والجُنُونْ

كُتَّابُنا يحيونَ في إجازةٍ
وخارجَ التاريخ يسكُنُونْ ..
حربُ حزيرانَ انتهتْ
جرائدُ الصباح ، ما تغيَّرَتْ
الأحرُفُ الكبيرَةُ الحمراءُ .. ما تغيَّرَتْ
الصُوَرُ العاريةُ النَكْراءُ .. ما تغيَّرَتْ
والناسُ يلهثونْ ..
تحت سياط الجنْس يلهثونْ
تحت سياط الأحرفِ الكبيرةِ الحمراءِ .. يسقُطُونْ ..
الناسُ كالثيران في بلادنا ..
بالأحمرِ الفَاقِعِ يُؤخَذُونْ ..

٨

حربُ حزيرانَ انتَهَتْ ..
وضاعَ كلُّ شيءْ ..
الشرفُ الرفيعُ ،
والقلاعُ ، والحصونْ
والمالُ ، والبنُونْ ..
لكنّنا ...
باقُونَ في محطّةِ الإذاعَهْ ..

« فاطمةُ تُهدي إلى والدها سلامَها .. »

« وخالدُ يسألُ عن أعمامِهِ في غزّةٍ ..

وأين يقطُنُونْ ؟ . »

« نفيسةُ قد وضعتْ مولودَها .. »

« وسامرٌ حازَ على شهادة الكفاءَةْ .. »

« فطمئنونا عنكُمُ ..

« عنوانُنا المُخيَّمُ التسعونْ .. »

٩

حربُ حزيرانَ انتَهَتْ ..
كأنَّ شيئاً لم يكُنْ ..
لم تختلفْ أمامَنا الوجوهُ والعُيُونْ
محاكمُ التفتيش عادتْ .. والمفتِّشُونْ ..
والدونكشوتيُّونَ .. ما زالوا يُشَخِّصُونْ
والناسُ من صُعُوبة البكاءِ ..
يضحكونْ ..

ونحنُ قانِعُونْ ..
بالحربِ قانعُونْ .. والسِلْم قانعُونْ ..
بالحَرِّ قانعُونْ .. والبَرْد قانعونْ ..
بالعُقْم قانعونْ .. والنَسْل قانعُونْ
بكُـلِّ ما في لَوْحِنَا المحفوظِ في السماءِ ..
قانعونْ ..
وكلُّ ما نملكُ أن نقولَهُ :
« إنَّا إلى اللهِ لراجِعُونْ » ...

١٠

إحترقَ المَسْرَحُ من أركانِهِ
ولم يَمُتْ ـ بَعْدُ ـ الممثّلُونْ ..

١٩٦٨

الإستجواب

١

مَنْ قَتَلَ الإمَامْ ؟
المُخْبِرُونَ يملأونَ غُرْفَتي
مَنْ قَتَلَ الإمَامْ ؟
أحذيةُ الجُنُود فوقَ رَقْبَتي
مَنْ قَتَل الإمَامْ ؟

مَنْ طعَنَ الدرويشَ صاحبَ الطريقَهْ ؟
ومزّقَ الجُبَّةَ ..
والكشْكُولَ ..
والمَسْبَحَةَ الأنيقَهْ ..
يا سادتي :
لا تقلعوا أظافري ..
بَحْثاً عن الحقيقَهْ ..
في جُثَّةِ القتيل ، دوماً ، تسكُنُ الحقيقَهْ

٢

مَنْ قَتَل الإمَامْ ؟
عساكرٌ بكامل السلاح يدخُلُونْ ..
عساكرٌ بكامل السلاح يخرجونْ
محاضرٌ ..
آلاتُ تسجيلٍ ..
مُصوِّرونْ ..

يا سادتي :
ما النَفْعُ من إفادتي ؟
ما دمتُمُ ..
ـ إنْ قُلْتُ أو ما قُلْتُ ـ
سوفَ تكتُبُونْ ..
ما تنفعُ استغاثتي ؟ .
ما دمتُمُ ..
ـ إن قلتُ أو ما قُلْتُ ـ
سوفَ تضربُونْ ..
ما دمتُمُ منذُ حكمتُمْ بَلَدي
عَنِّي تُفكِّرُونْ ! ! !

٣

لستُ شُيُوعيّاً ..
ـ كما قيل لكُـمْ ـ يا سادتي الكِرَامْ
ولا يَمينيَّاً ..
ـ كما قيل لكُمْ ـ يا سادتي الكِرَامْ
مَسْقَطُ رأسي في دمشقَ الشامْ ..
هل واحدٌ من بينكُمْ
يعرفُ أينَ الشامْ ؟

هل واحدٌ من بينكُمْ
أدْمَنَ سُكْنَى الشامْ ؟
رواهُ ماءُ الشامْ ..
كواهُ عِشْقُ الشامْ ..
تأكَّدُوا يا سادتي
لن تجدُوا في كلِّ أسواق الورود ، وردةً كالشامْ
وفي دكاكين الحُلَى جميعها ..
لؤلؤةً كالشامْ
لن تَجِدوا ..
مدينةً حزينةَ العَيْنَيْنِ مثل الشامْ ..

٤

لستُ عميلاً قَذِراً ..
كما يقولُ مُخْبِروكُـمْ ، سادتي الكرامْ
ولا سَرَقْتُ قمحةً ..
ولا قتلْتُ نَـمْـلَةً ..
ولا دخلتُ مركزَ البوليس يوماً ،
سادتي الكرامْ ..
يعرفني في حارتي الصغيرُ والكبيرْ .
يعرفني الأطفالُ .. والأشجارُ .. والحَـمَامْ ..

وأنبياءُ اللهِ يعرفونني
عليهمُ الصلاةُ والسلامْ
الصَلَوَاتُ الخَمْسُ لا أقطعُها ..
يا سادتي الكرامْ
وخُطْبَةُ الجُمْعةِ لا تفوتُني
يا سادتي الكرامْ
من رُبْعِ قَرْنٍ وأنا ..
أُمارسُ الركوعَ والسُجُودْ
أُمارسُ القيامَ والقُعُودْ

أُمارسُ التَشْخِيصَ خلف حضرة الإمامْ

يقولُ : (اللهُمَّ إمْحَقْ دولةَ اليهُودْ)

أقولُ : (اللهُمَّ إمْحَقْ دولةَ اليهُودْ)

يقولُ : (اللهُمَّ شَتِّتْ شَمْلَهُمْ)

أقولُ : (اللهُمَّ شَتِّتْ شَمْلَهُمْ)

يقولُ : (اللهُمَّ إقطَعْ نَسْلَهُمْ)

أقولُ : (اللهُمَّ إقطَعْ نَسْلَهُمْ)

يقولُ : (أَغرِقْ حَرْثَهُمْ وزَرْعَهُمْ)

أقولُ : (أَغْرِقْ حَرْثَهُمْ وزَرْعَهُمْ)

وهكذا ، يا سادتي الكرامْ
قضيتُ عشرينَ سَنَهْ
أعيشُ في حظيرة الأغنامْ
أُعْلَفُ كالأغنامْ
أنامُ كالأغنامْ
أبُولُ كالأغنامْ
أدورُ كالحَبَّةِ في مَسْبَحَة الإمامْ
لا عقلَ لي ..
لا رأسَ ..
لا أَقْدَامْ ..

أستَنْشِقُ الزُكامَ من لحيتهِ
والسُلُّ في العظامْ
قضيتُ عشرينَ سَنَهْ
مُكوَّماً كرزمة القشّ على السُجَّادةِ الحَمْراءْ ..
أُجْلَدُ كلَّ جُمْعَةٍ بخُطْبَةٍ غرَّاءْ
أبتلعُ البيانَ ..
والبديعَ ..
والقصائدَ العصماءْ ..
أبتلعُ الهُرَاءْ ...
عشرينَ عاماً .. وأنا يا سادتي
أسكُنُ في طاحونةٍ
ما طَحَنَتْ قطُّ سوى الهواءْ ..

٥

يا سادتي :
بِخنْجَري هذا الذي تَرَوْنَهُ
طعنتُـهُ في صدرِهِ والرقَـبَهْ
طعنتُـهُ في عقلهِ المنخُور مثل الخَشَـبَـهْ
طعنتُـهُ باسمي أنا ..
واسْمِ الملايينِ من الأغنامْ

يا سادتي :
أعرفُ أن تُـهْمَتي ..
عِقَابُها الإعدامْ ..
لكنّني ..
قَتَلْتُ إذْ قَتَلْتُهُ
كُلَّ الصراصير التي تُنشِدُ في الظلامْ
والمستريحينَ على أرصفةِ الأحلامْ
قَتَلْتُ إذْ قَتَلْتُهُ
كلَّ الطُفَيْليَّاتِ في حديقة الإسلامْ

كُلَّ الذين يطلُبُونَ الرزْقَ من دُكَّانة الإسلامْ
قَتَلْتُ إذْ قَتَلْتُهُ ..
يا سادتي الكرامْ
كُلَّ الذين منذُ ألفِ عامْ
يَزْنُونَ بالكَلَامْ ...

١٩٦٨

فَـــتْخ

١

... وبعدَما قُتِلْنَا ..
وبعدَما صلَّوا علينا ،
بعدَما دُفِنَّا ..
وبعدَ أن تكلَّسَتْ عظامُنا
وبعدَ أن تخشبَّتْ أقدامُنا
وبعدَما اهترأنا ..

وبعدَ ، أن جُعنَا وأن عطِشْنَا
وبعدَ ، أن تُـبْنَا وأن كَفَرنا ..
وبعدَما .. وبعدَما ..
من يأسِنَا يئِسْـنَا ..
جاءتْ إلينا (فَتْـحْ)
كوردةٍ جميلةٍ طالعةٍ من جُرحْ ..
كنبع ماءٍ باردٍ يروي صحارى ملحْ
وفجأةً .. ثرنا على أكفاننا ، وقُـمْـنَا ..
وفجأةً ،
كالسَيِّدِ المسيحِ .. بعد موتنا نَـهَضْـنَا ..

٢

مهما هُمُ تأخَّروا ، فإنَّهُمْ يأتُونْ
في حَبَّة الحنطةِ ..
أو في حَبَّة الزيتُونْ ..
يأتونَ في الأشجار ، والرياح ، والغُصُونْ
يأتونَ في كلامِنا ..
يأتونَ في أصواتِنا ..
يأتونَ في دُمُوع أَمَّهاتنا
في أعْيُن الغالينَ من أمواتِنا ..

مهما هُمُ تأخّروا .. فإنَّهُمْ يأتونْ
من درب رامَ الله ، أو من جَبَل الزيتُونْ
يأتونَ مثل المَنِّ والسلوى .. من السماءْ
ومن دُمَى الأطفال .. من أساور النساءْ
ويسكنُونَ الليلَ .. والأحجارَ .. والأشياءْ
من حزننا الجميل ينبُتُونْ
أشجارَ كبرياءْ
ومن شقُوق الصخر يولدونْ
باقةَ أنبياءْ
ليستْ لهم هويّةٌ .. ليستْ لهُمْ أسماءْ
لكنّهمْ يأتونْ ..
لكنّهمْ يأتونْ ..

٣

يا (فَتْحُ) يا شاطِئَنا من بعد ما فُقِدْنَا ..
يا شمسَ نصفِ الليل لاحَتْ ..
بعدما ضَجِرْنَا ..
يا رِعْشَةَ الربيع فينا ..
بعدما يَبِسْنَا ..
حين قرأنَا عنكُمُ كُلَّ الذي قرأنا ..
خمسينَ قَرْنَاً بكُمُ كبُرْنا ..
وارتفعتْ قاماتُنا
وأزْهَرَتْ حياتُنا
من بعدما نشِفْنَا ..

يا (فَتْحُ) يا حصانَنَا الجميلا
يحملُ في غُرَّتِهِ بيسانَ والجليلا
وغزَّةً ، والقدسَ ، والطيورَ ، والحُقُولا
ويحمل البحارَ في نظرتِهِ ،
ويحمل السُهُولا
يا ماءَنا .. يا ثلجَنا .. يا ظلَّنا الظليلا ..
يا طفْلَنا الذي انتظرنا وجهَهُ طويلا
يا (فَتْحُ) نحنُ مكَّةٌ
تنتظرُ الرَسُولا ..

٤

يا (فَتْحُ) شابَ الدَمْعُ في عُيُونِنَا
ولم يزلْ خِنْجَرُ إسرائيل في ظُهورِنَا
ولم نزل نبحثُ في الظلام عن قُبورِنا
ولم نزل كالأمس أغبياءْ
نرَدّدُ الخُرَافَةَ البلْهَاءْ
(الصبرُ مفتاحُ الفرَجْ)
ولم نَزَلْ نظنُّ أنَّ اللهَ في السماءْ
يُعيدُنا لدُورنا ..
ولم نزلْ نظنُّ أنَّ النصرْ ..
وليمةٌ تأتي لنا .. ونحنُ في سريرِنا ..

ولم نزلْ نقعُدُ من سنينْ
على رصيف الأمم المُتَّحدهْ
نشحذُ من لجانِها الحليبَ .. والطحينْ ..
والذُلَّ .. والسردينَ .. والملابسَ المُسْتَعْمَلَهْ ..
ولم نزلْ نمضغُ ساذجينْ
حكمتَنا المُفَضَّلَهْ :
(الصبرُ مفتاحُ الفَرَجْ)
إنَّ الرصَاصَ وحدَهُ
لا الصبرَ مفتاحُ الفَرَجْ .

٥

يا رَبَّنا :
نرفُضُ أن نكونَ بعد اليوم طَيِّبِينْ
فالطيِّبُونَ كلُّهُمْ أنصافُ ميِّتينْ
هُمْ سرقُوا بلادَنا ..
هم قتلوا أولادنَا
فاسمحْ لنا ، يا ربَّنا ،
نكونُ قاتلينْ ..

يا ثَـأْرَنا ..
نرفُضُ أن نكون كالخِرَافِ وادعينْ
يا طَـبْلَـنا ..
يا زارَنا ..
يا قاتَنا ..
نرفضُ أن نظلَّ مسطولينَ .. دائخينْ
يا شِعْرَنا كُنْ غاضباً ..
يا نَثْرنا كُنْ غاضباً ..
يا عَـقْلَنا كُنْ غاضباً ..
فَـعَصْرُنا الذي نعيشُ عصرُ غاضبينْ
يا حقدَنا .. كُنْ حارقاً
كي لا نصيرَ كلُّنا قطيعَ لاجئينْ ..

١٩٦٩

شعراء الأرض المحتلة

١

شُعَرَاءَ الأرضِ المُحتلَّهْ
يا مَنْ أوراقُ دفاتركُمْ
بالدمع مُغَمَّسَةٌ ، والطينْ
يا مَنْ نَبَراتُ حناجركُمْ
تُشْبهُ حَشْرَجَةَ المشنوقينْ

يا مَنْ ألوانُ محابركُـمْ
تبدو ، كرقاب المذبوحينْ
نَـتَعلَّمُ منكُمْ منذُ سنينْ
نحنُ الشْـعَراءَ المهزُومينْ
نحنُ الغُرباءَ عن التاريخِ ،
وعن أحزان المحزونينْ
نتعلَّمُ منكُمْ
كيف الحرفُ يكونُ له شكلُ السِكِّينْ

٢

شُعَرَاءَ الأرض المُحْتَلَّهْ
يا أجملَ طيرٍ يأتينا من ليل الأَسْرْ
يا حُزْناً شفَّافَ العَيْنَيْنِ ،
نقيَّاً مثل صلاة الفجرْ
يا شَجَرَ الورد النابت من أحشاء الجَمْرْ
يا مَطَراً يسقُطُ رغمَ الظُلْم ، ورغمَ القهرْ
نتعلّمُ منكمْ ..
كيف يُغنّي الغارقُ من أعماق البئرْ
نتعلَّمُ كيف يسير على قَدَميه القَبْرْ ..

نتعلَّمُ كيف يكونُ الشِّعْرْ
فلدينا قد مات الشعراءُ .. ومات الشِّعْرْ
الشِعْرُ لدينا درويشٌ ..
يترنّحُ في حَلَقات الذِّكْرْ
والشاعرُ يعملُ حوذيّاً لأمير القصرْ
الشاعرُ مخصيٌّ الشَفَتَيْنِ .. بهذا العَصْرْ
يمسحُ للحاكم معطفَهُ ،
ويصبُّ له أقداحَ الخَمْرْ
الشاعرُ مَخْصِيٌّ الكَلِمَاتِ ..
وما أشْقَى خصيانَ الفِكْرْ ..

٣

شُعَرَاءَ الأرض المُحْتَلَّهْ
يا ضوءَ الشمس الهاربَ من ثقب الأبوابْ
يا قَرْعَ الطبل القادمَ من أعماق الغابْ
يا كُلَّ الأسماء المَحْفُورَةِ في ريش الأهدابْ
ماذا نخبركُمْ يا أحبابْ ؟
عن أدَب النَكْسَةِ ..
شِعْرِ النكْسَةِ ..
فِكْرِ النكْسَةِ ..
يا أحبابْ ..

ما زلنا منذُ حزيرانٍ .. نحنُ الكُتَّابْ
نتمطَّى فوق وسائِدِنا ..
نلهو بالصَرْفِ وبالإعْرَابْ
يطأ الإرهابُ جماجمَنا ..
ونُقَبِّلُ أقدامَ الإرهابْ
نركبُ أحصنةً من خَشَبٍ
ونقاتلُ أشباحاً ..
وسَرَابْ ..

ونُنَادي :
يا ربَّ الأربابْ
نحنُ الضعفاءُ .. وأنتَ المنتصِرُ الغلَّابْ
نحنُ الفقراءُ .. وأنتَ الرزّاقُ الوهَّابْ
نحنُ الجُبَنَاءُ .. وأنتَ الغفَّارُ التوّابْ
شُعَرَاءَ الأرض المُحْتَلَّهْ
ما عاد لأعصابي أعصابْ
حُرُماتُ القُدْس قد انتُهِكتْ
وصلاحُ الدين من الأسْلابْ ..
ونُسَمِّي أنْفُسَنَا كُتَّابْ ؟ ؟

٤

محمودَ الدرويش .. سلاما
توفيقَ الزيَّاد .. سلاما
يا فدوى طوقان .. سلاما
يا مَنْ تبرونَ على الأضلاع الأقلاما
نتعلَّمُ منكُمْ ..
كيف نُفَجِّرُ في الكلمات الألغاما
شُعَرَاءَ الأرض المُحْتلَّهْ
ما زالَ دراويشُ الكلِمَهْ
في الشرقِ ، يَكُشُّونَ حماما
يحسُونَ الشايَ الأخضرَ .. يجترُّونَ الأحلاما ..
لو أنّ الشعراءَ لدينا ، يقفونَ أمام قصائدكمْ
لبَدَوْا أقزاماً .. أقزاما ..

١٩٦٨

القُــدس

بَكَيْتُ .. حتّى انتهتِ الدُمُوعْ
صلَّيْتُ .. حتى ذابتِ الشُمُوعْ
ركعتُ .. حتّى ملَّني الرُكوعْ
سألتُ عن مُحَمَّدٍ ..
فيكِ ، وعن يَسُوعْ
يا قُدْسُ . يا مدينةً تفوحُ أنبياءْ
يا أقْصَرَ الدُرُوب بين الأرض والسماءْ

* * *

يا قُدْسُ .. يا منارةَ الشرائعْ
يا طفلةً جميلةً مَحْرُوقَةَ الأصابعْ
حزينةٌ عيناكِ يا مدينةَ البَتُولْ
يا واحةً ظليلةً مرَّ بها الرَسُولْ
حزينةٌ حجارةُ الشوارعْ
حزينةٌ مآذنُ الجوامِعْ
يا قدسُ .. يا مدينةً تلتفُّ بالسَوَادْ
من يقرعُ الأجراسَ في كنيسة القيامَهْ ؟
صبيحةَ الآحادْ ..
من يحملُ الألعابَ للأولادْ ؟
في ليلة الميلادْ ..

* * *

يا قُدْسُ .. يا مدينةَ الأحزانْ
يا دمعةً كبيرةً تجولُ في الأجفانْ
مَنْ يوقفُ العُدْوَانْ ؟
عليكِ ، يا لؤلؤةَ الأديانْ
من يغسل الدماءَ عن حجارة الجُدْرَانْ ؟
من يُنْقِذُ الإنجيلْ ؟
من يُنْقِذُ القُرآنْ ؟
مَنْ يُنْقِذُ المسيحَ ممَّنْ قتلوا المسيحْ ؟
من يُنْقِذُ الإنسانْ ؟

يا قُدْسُ .. يا مدينتي
يا قُدْسُ .. يا حبيبتي
غداً .. غداً .. سيُزْهِرُ الليمونْ
وتفرحُ السنابلُ الخضراءُ والغُصُونْ
وتضحكُ العُيُونْ
وترجعُ الحمائمُ المهاجِرَهْ
إلى السُقُوف الطاهرَهْ
ويرجعُ الأطفالُ يلعبونْ
ويلتقي الآباءُ والبنُونْ
على رُبَاكِ الزاهرَهْ ..
يا بَلَدي .. يا بَلَدَ السلام والزيتُونْ ..

منشوراتٌ فدائيةٌ
على جُدران إسرائيل

١

لَنْ تَـجْـعَلُوا من شَـعْبِنا
شَعْبَ هُنُودٍ حُمْرْ
فنحنُ باقُونَ هنا ..
في هذه الأرض التي تلبسُ في مِعْصَمِها
إسوارةً من زَهْرْ ..
فهذه بلادُنا
فيها وُجِدْنا منذُ فجر العُمرْ
فيها لَعِبْنَا .. وعشِقْنَا ..
وكتبنا الشِّعْرْ ..

مُشَرِّشُونَ نحنُ في خُلجانِها
مثلَ حشيش البحرْ
مُشَرِّشونَ نحنُ في تاريخِها
في خُبْزها المرقُوقِ .. في زيتونِها
في قمحها المُصْفَرّْ ..
مُشَرِّشُونَ نحنُ في وجدانِها
باقونَ في آذارِها ..
باقُونَ في نَيْسانِها ..
باقُونَ كالحَفْر على صُلْبَانِها
باقُونَ في نبيِّها الكريمِ ، في قُرآنِها
وفي الوصايا العشرْ ..

٢

لا تسكَرُوا بالنَصْرْ
إذا قَتَلْتُمْ خالداً
فسوفَ يأتي عَمْرو
وإنْ سحقتُمْ وردةً
فسوف يبقى العِطرْ ..

٣

لأنَّ موسَىٰ قُطِعَتْ يَدَاهْ
ولم يَعُدْ يُتْقِـنُ فنَّ السِّحرْ
لأنَّ مُوسَىٰ كُسِرَتْ عَصَاهْ
ولم يَعُدْ بوسعِهِ
شَقَّ مياه البَحْرْ
لأنَّكُمْ لستُمْ كأمْريكَا
ولسنا كالهُنُود الحُمْرْ
فسوفَ تهلكونَ عن آخِرِكُمْ
فوق صحارىٰ مِصرْ ..

٤

المسْجِدُ الأقْصَى ، شهيدٌ جديدْ
نُضيفُهُ إلى الحساب العَتيقْ
وليست النارُ ، وليسَ الحريقْ
سوى قناديلَ تُضِيء الطريقْ

٥

مِنْ قَصَب الغَابَاتْ
نخرجُ كالجِن لكُمْ
مِنْ قَصَب الغاباتْ
مِنْ رُزَم البريد ، من مقاعد الباصَاتْ
من عُلَب الدخان ، من صفائح البنزينِ ،
من شواهد الأَمواتْ
من الطباشير .. من الألواح .. من ضفائر البَنَاتْ ..
من خَشَب الصُلْبَان .. من أوْعِيةِ البخورِ ..
من أغطية الصلاةْ ..

مِنْ وَرَق المُصْحَفِ، نأتيكُمْ
مِنَ السُطُور والآياتْ
لَنْ تُفْلِتُوا من يدِنا ..
فنحنُ مبثوثُونَ في الريح .. وفي الماء .. وفي النَبَاتْ
ونحنُ معجونونَ بالألوان والأصواتْ
لنْ تُفْلِتُوا ..
لَنْ تُفْلِتُوا ..
فكُلُّ بيتٍ فيه بُنْدُقِيَّةٌ
من ضفَّة النيل إلى الفُراتْ ..

٦

لنْ تستريحُوا مَعَنا ..
كُلُّ قتيلٍ عندنا
يموتُ آلافاً من المرّاتْ ..

٧

إنْتَبِهُوا ..

إنْتَبِهُوا ..

أعمِدَةُ النُور لها أظافِرٌ

وللشبابيكِ عُيُونٌ عَشْرْ

والموتُ في انتظارِكُمْ

في كُلِّ وجهٍ عابرٍ .. أو لَفْتَةٍ .. أو خَصْرْ ..

الموتُ مخبوءٌ لكُمْ

في مِشْط كُلِّ امرأةٍ ..

وخُصْلَةٍ من شَعْرْ ...

٨

يا آلَ إسرائيلَ ، لا يأْخُذْكُمُ الغُرُورْ
عقاربُ الساعة إن توَقَّفتْ
لا بُدَّ أن تَدُورْ ..
إنَّ اغتصابَ الأرض لا يُخيفُنا
فالريشُ قد يسقُطُ من أجنحة النُسُورْ
والعَطَشُ الطويلُ لا يُخيفُنَا
فالماءُ يبقى دائماً في باطن الصُخورْ
هزمتُمُ الجيوشَ .. إلّا أنّكمْ لم تهزموا الشُعُورْ
قطعتُمُ الأشجارَ من رؤوسِهَا
وظَلَّتِ الجُذُورْ ..

٩

ننصحكُمْ أن تقرأوا
ما جاءَ في الزَبُورْ ..
ننصحكُمْ أن تحملوا تَوْرَاتَكُمْ
وتتبعوا نبيَّكُمْ للطُورْ
فما لكُمْ خبزٌ هنا .. ولا لكُمْ حُضُورْ

من باب كُلِّ جامعٍ
من خلف كُلِّ منبرٍ مكسُورْ
سيخرجُ الحجَّاجُ ذاتَ ليلةٍ ..
ويخرجُ المنصُورْ ...

١٠

إنْتَظِرُونا دائماً ..
في كُلِّ ما لا يُنْتَظَرْ
فنحنُ في كُلِّ المطارات ..
وفي كُلِّ بطاقات السَفَرْ ..
نطلع في روما .. وفي زوريخَ ..
من تحت الحَجَرْ
نطلعُ من خلفِ التماثيلِ ..
وأحواض الزَهَرْ ..

رجالُنا يأتُونَ دونَ موعدٍ
في غَضَب الرعد .. وزَخَّات المَطَرْ
يأتونَ في عباءة الرسولِ ..
أو سَيْفِ عُمَرْ ..
نساؤُنا ..
يَرْسُمْنَ أحزانَ فلسطينَ على دمع الشَجَرْ
يقبرنَ أطفالَ فلسطينَ بوجدان البَشَرْ
نساؤنا ..
يحملنَ أحجارَ فلسطينَ إلى أرض القَمَرْ ..

١١

لقد سَرَقْتُمْ وطناً ..
فصفَّقَ العالَمُ للمُغامَرَهْ
صادرتُمُ الأُلوفَ من بُيُوتنا
وبعتُمُ الألوفَ من أطفالنا
فصفَّق العالَمُ للسماسِرَهْ
سرقتُمُ الزيتَ من الكنائِسِ
سرقتُمُ المسيحَ من منزله في الناصِرَهْ
فصفَّقَ العالمُ للمغامَرهْ
وتنصبُونَ مأتماً
إذا خَطَفْنا طائرَهْ ..

١٢

تَـذَكَّروا ..
تَـذَكَّروا دائماً ..
بأنَّ أمْريكا ـ على شأنِـها ـ
ليستْ هي اللهَ العزيزَ القديرْ
وأنَّ أمْريكا ـ على بأسِها ـ
لنْ تمنَـعَ الطيورَ من أن تطيرْ
قد تقتُلُ الكبيرَ ، بارودةٌ
صغيرةٌ ، في يد طفلٍ صغيرْ

١٣

ما بينَنَا .. وبينكُمْ .. لا ينتهي بعامْ
لا ينتهي بخمسةٍ ، أو عشْرَةٍ ، ولا بألفِ عامْ
طويلةٌ معاركُ التحرير كالصِيَامْ
ونحنُ باقونَ على صدوركم كالنَقْشِ في الرخَامْ
باقونَ في صوت المزاريب .. وفي أجنحة الحَمَامْ
باقونَ في ذاكرة الشمس ، وفي دفاتر الأيَّامْ
باقونَ في شَيْطَنَة الأولاد ، في خَرْبَشَة الأقلامْ
باقونَ في شعر امريء القَيْسِ ، وفي شعر أبي تمَّامْ
باقُونَ في شفاه من نُحِبُّهمْ
باقُونَ في مخارج الكَلَامْ ..

١٤

موعدُنا حين يجيءُ المَغِيبْ
موعدُنا القادمُ في تل أبيبْ
« نَصْرٌ من اللهِ ، وفَتْحٌ قريبْ » .

١٥

ليس حُزَيْرَانُ سوى يومٍ من الأيَّامْ
وأجملُ الورود ، ما ينبُتُ في حديقة الأحزانْ ..

١٦

للحزن أولادٌ سيكْبُرونْ ..
للوَجَعِ الطويلِ ، أولادٌ سيكبُرونْ ..
لِمَنْ قتلتُمْ في فلسطينَ صغارٌ سوف يكبُرُونْ ..
للأرضِ .. للحارات .. للأبواب .. أولادٌ سيكبُرونْ
وهؤلاء كلُّهُمْ .. تَجمَّعُوا منذ ثلاثينَ سَنَهْ
في غُرَفِ التحقيق .. في مراكز البوليسْ .. في السُجُونْ
تجمَّعوا كالدمع في العُيُونْ ..
وهؤلاء كُلُّهُمْ ..
في أيِّ .. أيِّ لحظةٍ
من كلِّ أبواب فلسطينَ سيدخُلُونْ ..

١٧

.. وجاءَ في كتابه تعالَى :
بأنّكُمْ من مصرَ تخرجُونْ ..
وأنَّكمْ في تيهها سوف تجوعونَ وتعطشونْ
وأنَّكمْ ستعبدونَ العِجْلَ دونَ ربّكُمْ
وأنَّكُمْ بنعمة اللهِ عليكُمْ ، سوف تكفرونْ .
وفي المناشير التي يحملها رجالُنا
زِدْنا على ما قالهُ تعالى ، سَطْرَيْنِ آخَرَيْنْ :
« ومن ذُرى الجُولان تخرجُونْ .. »
« وضفَّةِ الأردُنّ تخرجُونْ .. »
« بقوّةِ السلاج تخرجُونْ .. »

١٨

سوفَ يموتُ الأعْوَرُ الدجَّالْ
سوفَ يموتُ الأعورُ الدجَّالْ
ونحنُ باقونَ هُنا ..
حدائقاً .. وعِطْرَ برتُقَالْ
باقونَ فيما رسم اللهُ على دفاتر الجبالْ
باقونَ في معاصر الزيتِ .. وفي الأنْوَالْ
في المدّ .. في الجَزْر .. وفي الشُرُوق والزَوَالْ
باقونَ في مراكب الصيدِ ..
وفي الأصداف والرمالْ ..

باقونَ في قصائد الحُبِّ ..
وفي قصائد النضالْ
باقونَ في الشِّعْرِ .. وفي الأزْجَالْ ..
باقُونَ في عطر المناديلِ .. وفي (الدبْكةِ) و(المُوَّالْ) ..
في القَصَص الشعبيِّ .. في الأَمْثَالْ
باقُونَ في الكُوفيَّة البيضاءِ .. والعُقَالْ
باقُون في مروءة الخيل ، وفي مروءة الخيَّالْ
باقُونَ في المِهْبَاج .. والبُنِّ ..
وفي تحيّة الرجالِ للرجالْ ..

باقُونَ في معاطف الجنودِ ..
في الجراح ، في السُعَالْ
باقونَ في سنابل القمح ، وفي نسائم الشمالْ
باقُونَ في الصليبْ ..
باقُونَ في الهلالْ ..
في ثورة الطُلّاب ، باقُونَ ، وفي معاول العُمَّالْ
باقُونَ في خواتم الخُطْبَةِ .. في أسِرَّة الأطفالْ
باقُونَ في الدُموعْ ..
باقُونَ في الآمالْ ..

١٩

تِسْعُونَ مليوناً من الأعرابِ..
خلفَ الأُفْق غاضِبُونْ
يا ويْلَكُمْ من ثأْرهِمْ
يومَ من القُمْقُمِ يطلعُونْ..

٢٠

لأنَّ هارونَ الرشيدَ ماتَ من زمانْ
ولم يعُدْ في القصر غِلْمانٌ .. ولا خِصْيانْ
لأنّنا نحن قتلناهُ ، وأطعمناهُ للحيتانْ
لأنَّ هارونَ الرشيدَ لم يَعُدْ إنسانْ
لأنَّهُ في تختِه الوثيرِ ..
لا يعرفُ ما القُدْسُ .. وما بيسَانْ
فقد قطعنا رأسَهُ أمسِ ..
وعلَّقْنَاهُ في بيسانْ
لأنَّ هارونَ الرشيدَ أرنبٌ جبانْ
فقد جعلنا قصرَهُ .. قيادةَ الأركانْ ..

٢١

ظلَّ الفلسطينيُّ أعواماً على الأبوابْ
يشحذُ خبزَ العدل من موائد الذئابْ
ويشتكي عذابَهُ للخالق التَوَّابْ
وعندما ..
أخْرَجَ من إسطبله حصانَهُ
وزيَّتَ البارودةَ المُلْقَاةَ في السردابْ
أصبَحَ في مقدورهِ
أن يبدأَ الحِسَابْ ...

٢٢

نحنُ الذينَ نرسُمُ الخريطَهْ
ونرسُمُ السفوحَ والهضابْ
نحنُ الذين نبدأُ المحاكَمَهْ
ونفرضُ الثوابَ والعِقَابْ ..

٢٣

العَرَبُ الذين كانوا عندكُمْ
مُصَدّري أحْلَامْ
تحوّلُوا ـ بعد حزيرانَ ـ إلى حقلٍ من الأَلغامْ
وانتقلتْ (هانوي) من مكانِها ..
وانتقلتْ (فيتنامْ) ..

٢٤

حدائقُ التاريخ دوماً تُزْهِرُ
ففي ربى السودان قد ماجَ الشقيقُ الأحمَرُ
وفي صحارى ليبيا
أوْرَقَ غُصْنٌ أخْضَرُ
والعَرَبُ اللذينَ قلتُمْ عنهُمُ تحجَّروا ..
تغيَّرُوا ..
تغيَّرُوا ..

٢٥

أنا الفلسطينيُّ
بعد رحلة الضَياع والسَرَابْ
أطْلَعُ كالعُشْب من الخَرَابْ
أُضيءُ كالبرق على وجوهكُمْ
أهطُلُ كالسَحَابْ
أطْلَعُ كلَّ ليلةٍ ..
من فُسْحَة الدار .. ومن مقابض الأبوابْ
من وَرَق التُوت .. ومن شجيرة اللبلابْ ..
من بِرْكة الماءِ ..
ومن ثَرْثَرة المِزْرابْ ..

أطلعُ من صوت أبي ..
من وجه أُمّي ، الطيِّبِ ، الجذّابْ
أطلَعُ من كُلّ العيون السُود .. والأهدابْ
ومن شبابيك الحبيبات ..
ومن رسائل الأحبابْ
أَطلعُ من رائحة التُرابْ
أفتحُ بابَ منزلي ..
أَدْخُلُهُ . من غير أن أنتظرَ الجوابْ
لأنّني أنا السؤالُ واالجَوَابْ ..

٢٦

مُحَاصَرونَ أنتُمُ بالحقد والكراهِيَـهْ
فمِنْ هنا .. جَيْشُ أبي عُـبَـيْـدَةٍ
ومِنْ هُنا معاويَهْ
سلامُكُمْ ممزَّقٌ
وبيتُكُمْ مُطَوَّقٌ
كبيت أيِّ زانِيَـهْ ...

٢٧

نَـأْتي ..
بِكُوفيَّاتِنا البيضاءِ والسوداءْ
نرسُمُ فوق جلدكُمْ
إشارةَ الفِدَاءْ
مِنْ رَحِـمِ الأَيَّام نأتي كانبثاق الماءْ
من خَيْـمَةَ الذُلِّ التي يعلكها الهواءْ
مِنْ وَجَع الحسين نأتي ..
من أسى فاطمةَ الزَهْرَاءْ ..

مِنْ أُحُدٍ ، نأتي ، ومن بَدْرٍ ..
ومن أحزان كربَلَاءْ
نأتي .. لكي نصحِّحَ التاريخَ والأشياءْ ..
ونطمسَ الحروفَ في الشوارع العِبْرِيَّةِ الأسماءْ ..

١٩٧٠

عُرسُ الخيـول الفلسطينية

كتبت عن قادة المقاومة الفلسطينية
كمال ناصر ، وكمال عدوان ،
وأبي يوسف النجار وزوجته ،
اللذين اغتيلوا في منازلهم بشارع
فردان في بيروت في نيسان ١٩٧٣

١

بشارع (فردانَ) كانتْ تموتُ الخيولُ الجميلَهْ
بصمتٍ ..
وتختارُ ميتَتَها النادرَهْ
يقولونَ : إنَّ الخُيُولَ بفِطْرتِها
تعاني من العشق أيضاً ،
وتعرفُ معنى الفراقِ ، ومعنى الشَجَنْ
وتقرأُ أحسنَ منَّا جميعاً
كتابَ الوَطَنْ ..

٢

لماذا يُسَمُّونَهُ مأتماً ؟
لقد كان أروعَ عرسٍ رأتْهُ المدينَهْ
ويا أُمَّ يوسفَ ، أنتِ العروسُ
ونحنُ شهودُكِ ليلَ زُفِفْتِ لزيْنِ الشَبابِ ،
ونحنُ رشقناكُما بالمُلبَّسِ والوردِ ،
نحنُ رقصنا أمامكما رقْصَةَ السيفِ والتُرْسِ ،
نحنُ وضعناكِ فوق حصان العريسِ
وثوبُ زفافكِ كان يُلامِسُ
أشجارَ غزَّةَ والناصِرَهْ
لماذا يقولونَ : إنَّ الخيُولَ
ـ إذا قُتِلَتْ ـ تفْقدُ الذاكرَهْ ؟ ؟

٣

لقد كان عُرْسَاً جميلاً ..
وكانتْ فلسطينُ تستقبلُ الناس في زِيِّها الوطنيِّ
وكان رجالُ الصحافة يلتقطون تصاويرَها
بينَ أولادها الأربعَهْ
لقد زَوَّجَتْهُمْ جميعاً ..
وكانت جميعُ الخيول تمدُّ إلى الشمس أعناقَها العاليَهْ
وتركضُ .. تركضُ ..
تركُضُ نحو حقول أريحَا ..
وتلعبُ فوق بساتينها السُنْدُسِيَّهْ
لماذا يقولونَ إنَّ الخيولَ الكريمةَ ،
لا تعرفُ الحُبَّ .. والقصصَ العاطفيَّهْ

٤

صديقي كمالْ :
صديقَ الدفاترِ .. والحِبْرِ .. والكلماتِ الجديدَهْ
أَكُلُّ الرصاصِ الذي أطلقوهُ عليكْ ؟
لقَتْلِ قصيدَهْ ..
أكُلُّ الثُقُوب التي تركُوها على شَفَتَيْكْ ؟
لِقَتْلِ قصيدَهْ ..

لقد كانَ عُرْساً جميلاً ..
وكُنَّا نزُفُّكَ بين رنينِ الدُفُوفِ
وضوءِ المشاعلْ
وكُنْتَ تُغَنِّي ..
ونحنُ نُلَمْلِمُ عن شَفَتَيْكَ
أُلوفَ السنابلْ
وكُنْتَ تعلِّمُنا كيفَ نُلغي المسافةَ
بين الأديب وبين المُقاتِلْ ..
وكُنْتَ تُعَلِّمنا يا صديقي
بأنَّ المسدَّسَ لا يستطيعُ اغتيالَ البلابِلْ ..

٥

بشارع (فردانَ) كانتْ تموتُ الخيولُ الأصيلَهْ
وكان رجالُ السياسة في الـ (دولتشي ڤيتا)
يعيشونَ كالحَلَزُونِ الكَسُولِ على فَضَلات الجرائدْ
وكان رجالُ العقيدةِ يستشهدونَ بأفكارُ (ماوْ)
ويحترفونَ النضالَ على عُلَبِ (المالبورو) الفارغَهْ
وكان الجواسيسُ يصطحبونَ النساءَ علانيةً ،
ويرتشفونَ نبيذَ البقاعِ ..
ويستمتعونَ بشمس شواطئنا الساحرَهْ
وكانتْ فلسطينُ بين المحيط .. وبين الخليجْ ..
تُفَتِّشُ عن غرفةٍ شاغرَهْ ..

دعـــوةُ اصطيـافٍ
للخامس من حـــزيـران

كتبت في ٥ حزيران ١٩٧٢
بعد مرور خمس سنوات على
الهزيمة .

١

سَنَـةٌ خامسةٌ تأتي إلينا ..
حاملاً كيسَكَ فوق الظهر .. حافي القَـدَمَيْنْ ..
وعلى وجهكَ أحزانُ السماواتِ ..
وأوجاعُ الحُسَيْنْ ..
سنلاقيكَ على كلِّ المطارات بباقات الزُهُورْ
وسنحسُو ـ نَخْبَ تشريفِكَ ـ أنهارَ الخُمُورْ
سَنُغَنِّيكَ أغانينَـا .. ونُلقي
أكذَبَ الأشعار ما بينَ يَدَيْكْ
وستعتادُ علينا ..
مثلما اعْتَـدْنَا عليكْ ...

٢

نحنُ ندعوكَ لتصْطَافَ لديْنا
مثلَ كُلّ السائحينْ
وسنُعطيكَ جَنَاحاً ملكيّاً
لكَ جهّزناهُ من خمس سنينْ
سوف تستمتعُ بالليل .. وأضواء النِيُونْ
وبرقص (الجيرك) و(الجاز) وأفلام الشذوذْ ..
فهُنا ..
لا نعرفُ الحزنَ ، ولا مَنْ يحزنُونْ ..

سوفَ تلقى في بلادي ما يَسُرُّكْ
شِقَقاً مَفْرُوشَةً للعاشقينْ
وكؤوساً نُضِّدَتْ للشاربينْ
وحريماً لأمير المؤمنينْ ! ! .
فلماذا أنتَ مكسورُ الجَنَاحْ ؟
أيُّها الزائرُ ذو الوجه الحزينْ
ولدينا الماءُ ..
والخُضْرَةُ ..
والبِيضُ الملاحْ ..

فلماذا تتردَّدْ؟
سوفَ نُنْسِيكَ فلسطينَ..
ونستأصِلُ من عينيكَ أشجارَ الدُمُوعْ
وسَنُلْغي سورة (الرحمنِ)..
و(الفَتْحِ)
ونغتالُ يَسُوعْ
وسنُعطيكَ جوازاً عربيّاً
شُطِبَتْ منه إشاراتُ الرُجُوعْ..

٣

سَنَـةٌ خامسةٌ ..
سادسةٌ ..
سابعةٌ ..
ثامنةٌ ..
تاسعةٌ ..
عاشرةٌ ..
ما تَهُمُّ السَنَواتْ ؟
إنَّ كلَّ المُدُن الكبرى من النيل إلى شطِّ الفُراتْ
ما لها ذاكرةٌ أو ذكرياتْ ..
كلُّ من سافر في التيهِ ، نسيناهُ ..
ومَنْ قد ماتَ ماتْ ..

ما تَهُمُّ السَنواتْ ؟
نحنُ أعددنا الأكاليلَ ، وهيأنا المناديلَ
وألَّفنا جميعَ الكَلِماتْ
ونَحَتْنَا قبل أسبوعٍ رُخَامَ الشاهداتْ
أيُّها الشرقُ الذي يأكلُ أوراق البلاغاتِ
ويمشي ـ كخَرُوفٍ ـ خلف كُلِّ اللافتاتْ
أيُّها الشَرْقُ الذي يكْتُبُ أسماءَ ضحاياهُ
على وجه المرايا ..
وبُطُون الراقصاتْ ..
ما تهُمُّ السَنَواتْ ؟
ما تَهُمُّ السَنَواتْ ؟

حوارٌ مع عربيّ أضاع فَرَسَه

١

لو كانتْ تسمعني الصحراءْ
لطلبتُ إليها ..
أن تتوقَّفَ عن تَفْريخ ملايينِ الشُعَراءْ
وتُحرّرَ هذا الشعبَ الطيّبَ من سيفِ الكَلِمَاتِ ..
ما زلنا منذ القرن السابع نأكُلُ أليافَ الكَلِمَاتْ
نتزحلقُ في صَمْغ الراءاتْ
نتدحرجُ من أعلى الهَاءَاتْ
وننامُ على هجو جريرٍ ..
ونُفيقُ على دمع الخَنْسَاءْ ..

ما زلنا منذُ القرن السابعِ ..
خارجَ خارطة الأشياءْ
نترقَّبُ عَنْتَرةَ العَبْسيَّ ..
يجيءُ على فَرَسٍ بيضاءْ ..
ليفرِّجَ عنَّا كُرْبَتَنَا
ويرُدَّ طوابيرَ الأعداءْ ..
ما زلنا نقضُمُ كالفئران ..
مواعظَ سادتِنا الفُقَهَاءْ
نَقْرَأُ (معروفَ الإسكافيَّ) ..

ونقرأ (أخبارَ النُدَماءْ) ..
ونُكَاتِ جحا ..
و(رجوعَ الشيخ) ..
وقصّةَ (داحسَ والغَبْرَاءْ) ..
يا بَلَدي الطيّبَ يا بَلَدي ..
الكِلْمَةُ كانَتْ عُصْفُوراً
وجَعَلْنَا منها ..
سُوقَ بَغَاءْ ..

* * *

٢

لو كانتْ نَجْدُ تسمَعُني
والربْعُ الخالي يسمَعُني
لختمتُ أنا بالشمع الأحمر سوقَ عُـكَاظْ
وشَنَقْتُ جميعَ النجَّارين ..
وكُلَّ بياطرة الألفاظْ
ما زلنا منذُ ولادتنا
تسْحَقُنَا عَجَلاتُ الألفاظْ

لو أُعطى السُلْطَةَ في وطني
لقلعتُ نهارَ الجُمْعةِ أسنانَ الخُطَبَاءْ
وقطعتُ أصابعَ من صبغوا بالكِلْمةِ أحذيةَ الخُلَفَاءْ ..
وجَلَدْتُ جميعَ المُنْتَفعِينَ بدينارٍ ..
أو صحن حِسَاءْ ..
وجَلَدْتُ الهَمْزَةَ في لغتي ..
وجَلَدْتُ اليَاءْ ..
وذبحتُ (السينَ) .. و(سوفَ) ..
و(تاءَ التأنيثِ) البلْهَاءْ ..

والزُخْرُفَ .. والخَطَّ الكوفيَّ ..
وكُلَّ ألاعيب البُلَغَاءْ
وكَنَسْتُ غُبارَ فصاحتِنا
وجميعَ قصائدنا العصماءْ ..
يا بَلَدي ..
كيف تموتُ الخَيْلُ
ولا يبقى إلا الشُعَرَاءْ ؟ ؟

٣

لو أُعْطَى السُلْطَةَ في وطني
أعدمتُ جميعَ المنبطحينَ على أبواب مقاهينَا
وقَصَصْتُ لسانَ مُغَنِّينَا
وفَقَأْتُ عيونَ القمر الضاحكِ من أحزان ليالينا
وكَسَرتُ زُجَاجَتَهُ الخضراءْ
وأرحتُكَ يا ليلَ بلادي
من هذا الوحش الآكِلِ من لحم البُسَطَاءْ ..

٤

يا بَلَدي الطيِّبَ .. يا بَلَدي
لو تنشَفُ آبارُ البترول ، ويبقى الماءْ
لو يُخْصَى كلُّ المنحرفينَ ..
وكلُّ سماسرة الأثْدَاءْ ..
لو تُلغى أجهزةُ التكييفِ من الغُرَف الحمراءْ
وتصيرُ يواقيتُ التيجانِ ..
نِعَالاً في قَدَم الفُقَراءْ ..

لو أملكُ كرباجاً بيدي ..
جرَّدْتُ قياصرةَ الصحراء من الأثواب الحَضَريَّهْ
ونَزَعْتُ جميعَ خواتمهمْ
ومَحَوْتُ طلاءَ أظافرهمْ
وسَحَقْتُ الأحذيةَ اللمَّاعةَ ..
والساعاتِ الذهبيَّهْ ..
وأَعَدْتُ حليبَ النُوق لَهُمْ
وأعَدْتُ سروجَ الخَيْل لَهُمْ
وأعدتُ لهُمْ
حتّى الأَسماءَ العربيَّهْ ...

٥

لو يكتُبُ في يافا الليمونُ ، لأرسلَ آلافَ القُبُلاتْ
لو أنَّ بحيرة طبريّا تعطينا بعضَ رسائِلها ..
لاحترقَ القارىءُ والصَفَحَاتْ ..
لو أن القدسَ لها شفةٌ ، لاختَنَقَتْ في فمها الصَلَواتْ
لو أنَّ ..
وما تُجْدي (لو أَنَّ ..) ونحنُ نسافرُ في المأساةْ
ونَمُدُّ إلى الأرض المُحْتَلَّةِ حَبْلاً شعريَّ الكَلِمَاتْ
ونَمُدُّ ليافا منديلاً طُرِّزَ بالدمع .. وبالدَعَواتْ
يا بَلَدي الطِّيبَ .. يا بَلَدي
ذَبَحَتْكَ سكاكينُ الكَلِمَاتْ ..

جـريـمةُ شَـرفٍ
أمام المحاكم العـرَبيّة

١

... وفَقَدْتَ يا وطَنِيَ البكارَهْ ..
لم يكترثْ أَحَدٌ ..
وسُجِّلتِ الجريمةُ ضدَّ مجهولٍ
وأُرْخِيَتِ الستارَهْ ..
نسيَتْ قبائلُنا أظافرَها
تشابهتِ الأُنوثةُ والذُكُورَةُ في وظائفِها ،
تحوّلتِ الخيولُ إلى حجارَهْ ..
لم تَبْقَ للأمواس فائدةٌ .. ولا للقَـتْلِ فائدةٌ
فإنَّ اللحمَ قد فَقَدَ الإثارَهْ ..

٢

دَخَلُوا علينا ..
كانَ عَنْتَرةُ يبيعُ حصانَهُ بلُفَافَتِيْ تَبْغٍ ..
وقمصانٍ مُشجَّرةٍ ..
ومعجُونٍ جديدٍ للحلاقةِ ..
كان عَنْتَرَةُ يبيعُ الجاهليَّهْ
دَخَلُوا علينا ..
كان أَخْوَالُ القتيلة يشربونَ (الجِنَّ) بالليمونِ ..
يصطافونَ في لبنانَ ..
يرتاحونَ في أسْوَانَ ..
يبتاعونَ من (خان الخليليِّ) الخواتمَ .. والأساورَ ..
والعُيُونَ الفاطِميَّهْ ...

٣

ما زالَ يكتبُ شِعْرَه العُذْريَّ ، قَيْسُ
واليهودُ تَسَرَبُّوا لفِراش ليلى العامريَّهْ
حتى كلابُ الحيِّ لم تَـنْبَحْ ..
ولم تُطْلَقْ على الزاني رصاصةُ بندقيَّهْ
« لا يَسْلَمُ الشَرَفُ الرفيعُ » !
ونحنُ ضَاجَعْنَا الغُزَاةَ ثلاثَ مرّاتٍ ..
وضَيَّعْنَا العفافَ .. ثلاثَ مرّاتٍ ..
وشَيَّعْنَا المُروءةَ بالمراسمِ ، والطُقُوس العسكريَّهْ
« لا يَسْلَمُ الشَرَفُ الرفيعُ » !
ونحنُ غيَّرنا شهادتَنا .. وأنْـكَرْنا علاقتَنا ..
وأحْرَقْنَا مِلفَّـاتِ القضيَّهْ ..

٤

الشمسُ تُشْرقُ مرةً أُخرى ..
وعُمَّالُ النظافة يجمعونَ أصابعَ الموتى ..
وألعابَ الصغارْ ..
الشمسُ تُشْرِقُ مرةً أُخرى ..
وذاكرةُ المدائن مثل ذاكرة البغايا والبِحَارْ
الشمسُ تُشْرِقُ مرةً أُخرى ..
وتمتلِئُ المقاهي مرةً أُخرى
ويحتدمُ الحِوَارْ :

ـ إنَّ الجريمةَ عاطفيَّهْ ..

ـ إنَّ النساءَ جميعَهنَّ مُغامِراتٌ والشريعةُ عندنا ضدَّ الضحيَّهْ ..

ـ يا سادتي .. إنَّ المخطَّطَ كلَّهُ من صُنْع أمْريكا ، وبترولُ الخليج هو الأساس ، وكلُّ ما يبقى أمُورٌ جانبيَّهْ ..

ـ مَلْعُونَةٌ أُمُّ السياسةِ ... نحنُ نُحِبُّ أزنافورَ ،
والوسكيَّ بالثلج المكسَّرِ ، والعُطُورَ الأجنبيَّهْ ..

ـ إنَّ النساءَ بنصف عقلٍ .. والشريعةُ عندنا
ضدَّ الضحيَّهْ ...

ـ ....

ـ ....

ـ كلُّ القوانين القديمة والحديثة عندنا ضِدَّ الضحيَّهْ ...

٥

العالَمُ العربيُّ يبلغُ حَبَّـةَ (البَثِّ المباشِرْ)
(يا عِيْني عالصَبْرْ ، يا عِيْني عليهْ)
والعالمُ العربيُّ ..
يضحكُ لليهود القادمينَ إليهِ ..
من تحت الأظافِرْ ...

٦

يأتي حزيرانُ ويَذْهَبُ ..
والفرزدقُ يغرُزُ السِكِّينَ في رِئَتَيْ جريرْ ..
والعالَمُ العربيُّ شطرنْجٌ ..
وأحجارٌ مبعثرةٌ ..
وأوراقٌ تطيرْ ..
والخيلُ عطشى .. والقبائلُ تُسْتَجَارُ ولا تُجِيرْ ..
(الناطقُ الرسميُّ يعلنُ أنَّهُ في الساعة الأولى
وخَمْسِ دقائقٍ ، شربَ اليهودُ الشايَ في بيروتَ ،
وارتاحوا قليلاً في فنادقها ، وعادوا سالمينْ ...)

ـ لا شيءَ مثل (الجِنِّ) بالليمون .. في زمن الحروبِ ..
وأجْمَلُ الأثْداء ، في اللّمْسِ ، المليءُ .. المُسْتديرْ ..
(الناطقُ الرسميُّ يعلنُ أنَّهُم طافوا بأسواق
المدينة ، واشتروا صُحُفاً وتُفّاحاً ، وكانوا
يرقصون (الجيركَ) في حقدٍ ، ويغتالونَ كلَّ الراقصينْ)
ـ إنَّ السويديّات أحسنُ من يمارسنَ الهوى ...
ـ والجِنْسُ في ستوكهولمَ يُشْرَبُ كالنبيذ على الموائدْ ...
ـ الجِنْسُ يُقْرَأُ في السويد مع الجرائدْ ...

(الناطقُ الرسميُّ يعلنُ في بلاغٍ لاحقٍ :
أنَّ اليهودَ تزوَّجوا زوجاتِنا ..
ومَضَوْا بهنَّ .. فبالرفاه وبالبنينْ ..)

٧

العالمُ العربيُّ غانيةٌ ..
تنامُ على وسادة ياسمينْ
فالحربُ من تقدير ربِّ العالمينْ
والجُبْنُ من تقدير ربِّ العالمينْ ...

٨

قرَّرتُ يا وطني اغتيالَكَ بالسَفَرْ ..
وحجزتُ تذكرتي ،
وودَّعْتُ السنابلَ ، والجداولَ ، والشَجَرْ
وأخذتُ في جيبي تصاويرَ الحقولِ ..
أخذتُ إمضاءَ القَمَرْ ..
وأخذتُ وجهَ حبيبتي ..
وأخذتُ رائحةَ المَطَرْ ..
قلبي عليكَ .. وأنتَ يا وَطَني
تنامُ على حَجَرْ ..

٩

يا أيُّها الوطنُ المسافرُ في الخطابةِ ..
والقصائدِ .. والنصوص المسرحيَّهْ
يا أيُّها الوطنُ المصوَّرُ في بطاقات السياحةِ ..
والخرائطِ .. والأغاني المدرسيَّهْ ..
يا أيُّها الوطنُ المُحَاصَرُ
بين أسنان الخلافةِ ، والوراثةِ ، والإمارَهْ
وجميع أسماء التعجُّب والإشارَهْ
يا أيُّها الوطنُ الذي شُعَرَاؤه
يضَعُونَ ـ كي يُرضُوا السلاطينَ ـ
الرُمُوشَ المُسْتَعَارَهْ ! ! .

١٠

يا سيِّدي الجمهورَ .. إنِّي مُسْتَقيلْ ..
إن الروايةَ لا تناسِبُني ، وأثوابي مُرَقَّعَةٌ ، ودَوْري مستحيلْ
لم يبق للإخراج فائدةٌ .. ولا لمكبرّات الصوت فائدةٌ ..
ولا للشعر فائدةٌ .. وأوزانِ الخليلْ
يا سيِّدي الجمهورَ سامحني إذا ضيعتُ ذاكرتي ..
وضيَّعتُ الكتابةَ والأصابعْ ..
ونسيتُ أسماءَ الشوارعْ ..
إنيّ قتلتُكَ أيُّها الوطَنُ الممدّدُ فوق أختام البريدِ ،
وفوق أوراق الطوابعْ ..
وذبحتُ خَيْلي المُضْرِبَاتِ عن الصهيلْ
إنيّ قتلتُكَ ، واكتشفتُ بأنّني كنتُ القتيلْ ..
يا سيِّدي الجمهور سامحْني ..
فدَوْرُ مُهرِّجِ السلطانِ دورٌ مُسْتَحيلْ ..

الحاكمُ والعصفُور

١

أَتَجوَّلُ في الوطن العربيِّ
لأَقرَأ شِعْري للجُمْهُورْ
فأنا مُقْتَنِعٌ
أنَّ الشعرَ رغيفٌ يُخْبَزُ للجُمْهُورْ
وأنا مُقْتَنِعٌ ـ منذُ بدأتُ ـ
بأنَّ الأَحْرُفَ أسماكٌ
وبأنَّ الماءَ هو الجُمْهُورْ ..

٢

أَتَجوَّلُ في الوطن العربيِّ
وليسَ معيَ إلَّا دفْتَرْ ..
يُرْسِلُني المخْفَرُ للمخْفَرْ ..
يَرْميني العَسْكَرُ للعَسْكَرْ ..
وأنا لا أحملُ في جيبي إلا عُصْفُورْ
لكنَّ الضابطَ يُوقِفُني
ويريدُ جوازاً للعُصْفُورْ
تحتاجُ الكِلْمَةُ في وَطَني
لجَوَازِ مُرُورْ ! ! .

٣

أبقى مَرْمِيّاً ساعاتٍ ..
مُنْتظِراً فَرمَانَ المأمُورْ
أتأمّلُ في أكياسِ الرَمْلِ ،
ودَمْعي في عينيَّ بُحُورْ
وأمامي ، ارْتَفَعَتْ لافِتَةٌ
تتحدّثُ عن (وَطَنٍ واحِدْ) ..
تتحدّثُ عن (شعبٍ واحِدْ) ...

وأنا ، كالجُرْذِ ، هُنا قاعِدْ
أتقيَّأُ أحزاني ..
وأدوسُ جميعَ شعارات الطَبْشُورْ
وأظلُّ على باب بلادي
مَرْميّاً كالقَدَح المكْسُورْ ...

الوصيَّة

١

أَفْتَحُ صندوقَ أبي ..
أُمَزِّقُ الوصيَّهْ .
أَبيعُ في المزاد ما وَرِثْتُهُ :
مجموعةُ المسابح العاجِيَّهْ
طربُوشُهُ التركيُّ ، والجواربُ الصُوفيَّهْ
وعُلْبَةُ النُشُوقِ ، والسَمَاوَرُ العتيقُ ، والشَمْسِيَّهْ
أَسْحَبُ سيفي غاضباً
وأَقطعُ الرؤوسَ ، والمفَاصِلَ المَرْخِيَّـهْ
وأهدمُ الشرقَ على أصحابِهِ
تَكِيَّـةً .. تَكِيَّـهْ ...

٢

أَفْتَحُ صُنْدوقَ أبي ..
فلا أرى ..
إلَّا دراويشَ ومَوْلَوِيَّهْ
والعُودَ .. والقانُونَ .. والبشارِفَ الشرقيَّهْ
وقِصّةَ الزير على حصانِهِ
وعاطلينَ يشربونَ القهوةَ التُرْكيَّهْ
أسحبُ سيفي غاضباً
وأَقْتُلُ المعلَّقَاتِ العَشْرَ .. والألْفِيَّـهْ
وأقتلُ الكهوفَ ، والدُفوفَ ،
والأضرِحَةَ الغبيَّـهْ ..

٣

أَفْتَحُ تاريخَ أبي ..
أَفْتَحُ أيَّامَ أبي ..
أرى الذي ليسَ يُرى
أَدْعِيَةٌ ... مدائِحٌ دينيَّـهْ
أوعيةٌ ... حشائِشٌ طبيَّهْ
أدويةٌ .. للقُدْرةِ الجِنْسيَّهْ
أبحثُ عن معرفةٍ تنفعني
أبحثُ عن كتابةٍ تخُصُّ هذا العصر .. أو تَخُصُّني
فلا أرى حولي سوى رملٍ .. وجاهليَّهْ

٤

أرفضُ ميراثَ أبي .
وأرفضُ الثوبَ الذي ألْبَسَني
وأرفضُ العلمَ الذي عَلَّمني
وكلَّ ما أوْرَثَني من عُقَدٍ جِنْسيَّهْ
أرفضُ (ألفَ ليلةٍ) ..
والقمقُمَ العجيبَ ، والماردَ ، والسُجَّادةَ السحريَّهْ
أرفضُ سيفَ الدولة المغرورَ .. والقصائدَ الذليلةَ الغبيَّهْ ..
أُحْرِقُ رسْمَ أُسْرتي .. أُحْرِقُ أبْجَديَّتي ..
ومن فلسطينَ ، ومن صُمودِها
من طَلَقات النار في جُرُودها
من قمحها المغموس بالدمعِ ، ومن ورودِها
أصْنَعُ أبْجَديَّهْ ...

٥

أدْخُلُ مثل البَرْق من نافذة الخليفَهْ ..
أراهُ لا يزالُ مثلما تركتُهُ
منذ قرونٍ سَبْعَةٍ
مضاجعاً جاريةً روميَّهْ
أَقْرَأ آياتٍ من القرآنِ فوق رأسِهِ
مكتوبةً بأحرفٍ كُوفِيَّهْ
عن الجهاد في سبيل اللهِ . والرسُولِ .
والشريعةِ الحنيفَهْ ..

أقولُ في سريرتي :
تباركَ الجهادُ في النُحُورِ ..
والأثْدَاءِ ..
والمعاصمِ الطريَّهْ ..
يا حضرةَ الخليفَهْ ..
أعبُرُ من سُرَادِقِ الحريم كالمنيَّهْ
أمْشي على الأبْدانِ .. والغِلْمانِ ..
والأساور المَرْميَّهْ ..
أمشي على توجُّع الحرير والقطيفَهْ ..

٦

أدخُلُ مثلَ الموت من نافذة الخليفَهْ
يَحسبُني مرتزقاً ..
دبَّجْتُ في مديحه قصيدةً هَمْزِيَّهْ
يأمُرُ لي من بيتِ مالِ المؤمنينَ كلَّ ما أطلبُهُ ..
عباءةً من قَصَبٍ
وساعةً من ذَهَبٍ
ومن نساء قصره مَحْظيَّهْ ..

أَبْصُقُ فوق وجههِ ..
وفوق وجه الدولة العَلِيَّـهْ
من أنتَ ؟
يا سيَّافُ . إقطَعْ رأسَهُ ..
وهاتِ لي الرأسَ على صينيَّـهْ
يا مَلِكَ الزمان ، إنْ قتلتَني
فمستحيلٌ تقتُلُ الحريَّـهْ ...

٧

قُمْ يا طويلَ العُمْرِ ..
من حُجْرتكَ الورديَّهْ
وافْتَحْ شبابيكَكَ ..
للشمسِ ، وللعدلِ ، وللرعيَّهْ
فما رآكَ الشعبُ من آخرِ أيَّامِ بني أُميَّهْ ..
هل أنتَ حقّاً من بني أُميَّهْ ؟..
أخرُجْ إلى الشارع يا أميرَنا ..
واقرأْ .. ولو صحيفةً يوميَّهْ ..

إقْرأْ ..
عن السويسِ ، والأرْدُنِّ ، والجُولان ،
والمدائن السَبِيَّهْ ..
عن اللذينَ يعبرونَ النهرَ نحو الضفَّةِ الغربيَّهْ ..
هل يا طويلَ العُمْر .. في بلاطكُمْ
خريطةٌ صغيرةٌ .. للضفّةِ الغربيَّهْ ؟ ؟ ...

الخطَاب

١

أَوْقَفُوني ..
وأنا أَضحكُ كالمَجْنُونِ وحدي
مِنْ خطابٍ كان يُلقيهِ أَميرُ المؤمنينْ
كلَّفتْني ضِحْكَتي عَشْرَ سنينْ ..

سَأَلوني ،
وأنا في غُرْفَةِ التحقيقِ ، عمَّن حرَّضوني
فَضَحِكْتُ ..
وعن المال .. وعمَّنْ مَوَّلُوني ..
فضَحِكتُ ..
كَتَبُوا كلَّ إفاداتي ..
ولم يَسْتجوبُوني ..

قال عَنّي المُدَّعي العامُ ..
وقال الجُنْدُ حين اعتقلوني
إنَّني ضدَّ الحُكُومَهْ ..
لم أكُنْ أعرفُ أن الضِحْكَ ..
يحتاجُ لترخيص الحكُومَهْ ..
ورُسُوم .. وطوابِعْ ..
لم أكُنْ أعرف شيئاً ..
عن غسيل المُخِّ ..
أو فَرْم الأصابعْ ! ! .

في بلادي ،
ممكنٌ أن يكتُبَ الإنسانُ ضدَّ الله ..
لا ضِدَّ الحكومَهْ ..
فاعذرُوني ، أيُّها السادةُ ،
إنْ كنتُ ضحِكْتْ ..
كان في وُدّيَ أن أبْكي ..
ولكنيّ ضَحِكتْ ..

٢

كنتُ بعدَ الظُهْر في المقهى ..
وكان البَهْلَوانْ ..
يلبسُ الطرطورَ بالرأسِ ..
ويُلْقي كلَّ (ما يطلبُهُ المستمعُونْ)
عن فلسطينَ التي صارت مع الأيّام ،
(ما يطلبُهُ المستمعُونْ)
واحتفالاً مثل عيد الفِطْر .. والأَضْحَى ..
أراجيحَ ، وكَعْكاً ، وفَطَائرْ ..
وزياراتِ مقابرْ ..

كنتُ أسْتَرجِعُ أفكاري ..
وكانَ المُخْبِرُونْ
كالجراثيم ، على كلِّ الفناجينِ ، وفي كُلِّ الصُحُونْ
كنتُ أُصْغي كألوف البُسَطَاء الطيِّبينْ
لكلام البهْلَوانْ
وهْوَ يحكي .. ثمَّ يحكي .. ثمَّ يَحْكي ..
مثلَ صندوق العجائبْ
... وتذَّكرتُ ليالي رمَضَانْ
وأراجُوزَ الذي كان له ألفُ لسانٍ .. ولسانْ

وتذكَّرتُ فلسطينَ التي صارتْ حقيبَـهْ
ما لها في الأرض صاحبْ
كان في حنجرتي ملْـحٌ ..
وحُزْني كان في حجم الكواكبْ
فاعذُروني ، أيُّها السادةُ ،
إنْ حطّمتُ صُندوقَ العجائبْ
وتَقيَّأتُ على وجه أمير المؤمنينْ
وكبيرِ الياوَرَانْ ..
واسترحتْ ..
كانَ في وُدّيَ أن أبْـكي ..
ولكنّي ضحِكْتْ ..

٣

نَشَرُوا في صُحُفِ اليوم ..
تصاويري على أوّل صفْحَهْ
واعترافاتي ، على أوّل صَفْحَهْ
فضَحِكْتْ
قَدَّموني للإذاعاتِ طَعَاماً
ولأسنان الصِحَافَهْ ..
جَعَلُوني ، دونَ أن أدري ، خُرافَهْ
ربطوني بالسفاراتِ .. وأحلافِ الأجانبْ
فضَحِكْتْ ...

إنّني لم أشتغِلْ من قَبْلُ قَوَّاداً ..
ولا كنتُ حصاناً للأجانبْ
أنا عَبْدٌ من عبادِ الله مستورٌ ..
ومَغْمُورٌ ..
ومحدودُ المواهِبْ
أَسْمَعُ الأخبارَ كالناسِ ،
وأَستقبِلُ مأمورَ الضرائبْ
زوجتي طيِّبةُ القلب ، وعندي وَلَدانْ
وأبي حاربَ ضدَّ التُرْكِ في الشامِ ..
وماتْ ..

أنا لا أَفهمُ في النَحْو .. وفي الصَرْفِ ..
وفي عِلْم الكَلامْ ..
غير أنيّ لم أَعُدْ أفْهَمُ ما معنى الكَلامْ ..
لم أَعُدْ أهضم حَرْفَاً
من أكاذيب أمير المؤمنينْ
صارت الألفاظُ مطّاطاً ..
وصارَتْ لغةُ الحُكّام صَمْغَاً .. وعَجينْ ..

خَدَّروني ..
بملايين الشعاراتِ .. فَنِمْتْ
وأرَوْني القُدْسَ في الحُلْمِ .. ولَمْ
أجِدِ القدسَ ، ولا أحجارَها ، حين اسْتَفَقتْ
فاعذُروني ..
أيُّها السادةُ ، إن كنتُ ضحكتْ ..
كانَ في وُدِّيَ أن أبكي ..
ولكنّي ضَحِكتْ ..

٤

كنتُ في المخفر مكْسُوراً كبِلَّور كنيسَهْ
نافخاً (سورةَ ياسين) بوجه القاتلينْ
لم أَكُنْ أملكُ إلا الصبْرَ ..
(واللهُ يُحِبُّ الصابرينْ)
وجراحي كبساتين أريحا
يُمْطِرُ الياقوتُ منها ..
ويضوعُ الياسمينْ ..

وفلسطينُ على الأرض حَمَامَهْ
سقَطَتْ تحت نعالِ المُخْبِرينْ
كنتُ وحدي ..
لم يَزُرني أحَدٌ في السجنِ .. إلَّا
جَبَلُ الكرمل ، والبحرُ ، وشمسُ الناصرَهْ
كنتُ وحدي ..
وملوكُ الشرق كانوا جُثَثاً
فوقَ مياه الذاكِرَهْ ..

كنتُ مَجْرُوحاً ..
ومَطْرُوحاً على وجْهي ، كأكياس الطحينْ
أيُّها السادةُ : لا تَنْدَهِشُوا ..
كلُّنا في نَظَر الحاكمِ ، أكْيَاسُ طحينْ
كلُّنا في مَذْبح الحكم ، خِرافٌ
نتسلَّى بحشيش الصَبْر ..
(واللهُ يُحبُّ الصابرينْ) ..
فأطالَ اللهُ في عمر أمير المؤمنينْ
نائبِ الله على الأرضِ ..
كبيرِ العادلينْ ..

٥

أيُّها السادةُ :
إنّي وارثُ الأرض الخَرَابْ
كلَّما جئتُ إلى باب الخليفَهْ
سائلاً عن (شَرَمِ البشيخ) ..
وعن حَيْفا ..
ورامَ الله ..
والجُولان ..
أهداني خِطَابْ ..
كلّما كلّمتُهُ ـ جلَّ جلالُهْ ـ
عن حزيرانَ الذي صار حشيشاً
نتعاطاهُ صباحاً .. ومساءْ ..

واحتفالاً مثل عيد الفطر والأضحى ..
وذكرى كَرْبلاءْ ..
ركِبَ السيَّارةَ المكشوفَةَ السقفِ ،
وغَطَّى صدرَهُ بالأوسِمَهْ ..
ورَشَاني بخطابْ ..
كُلمَّا ناديتُهُ :
يا أميرَ البحر ، والبَرِّ ، ويا عالي الجَنَابْ
سيفُ إسرائيلَ في رقْبتِنا ..
سيفُ إسرائيلَ في ..
سيفُ إسـ ....

ركبَ السيارةَ المكشوفةَ السَقْفِ ..
إلى دار الإذاعَهْ ..
ورَشَاني بخطابْ ..
ورماني بين أسنان الجواسيسِ ..
وأنياب الكلابْ ..
فاعذُروني ، أيُّها السادةُ ، إنْ كنتُ كَفَرتْ
وَصَفُوا لي صَبْرَ أيوبَ دواءً .. فَشَرِبتْ
أطعَمُوني ..
وَرَقَ النَشَّاف ليلاً ونهاراً ..
فأَكلْتْ ...

أَدْخَلُوني لفلسطينَ ..
على أنغام (ما يطلبُهُ المستمعونْ)
أَدْخَلُوني في دهاليز الجُنُونْ
فاعذُروني ، أيُّها السادةُ ، إنْ كنتُ ضَحِكتْ
كانَ في وُدّيَ أن أبْكي ..
ولكنّي ضَحِكْتْ ....

بانتظار غُودُو

١

نَنْتَظِرُ القطارْ
نَنْتَظِرُ المسافرَ الخَفِيَّ كالأقدارْ
يخرجُ من عباءة السنينْ
يخرجُ من بَدْرٍ ..
من اليَرْمُوكِ ..
من حِطِّينْ ..
يخرجُ من سيفِ صلاحِ الدِّينْ ..

مِنْ سنة العِشْرينْ
ونحنُ مرصُوصُونَ في محطّة التاريخِ
كالسَرْدِينْ ..
يا سيِّداتي ، سَادَتي :
هل تعرفونَ ما حُرِّيّةُ السَرْدِينْ ؟
حين يكونُ المرءُ مضطرّاً
لأن يقولَ ـ رغْمَ أنفِهِ ـ (آمينْ)
حين يكونُ الجرْحُ مضطرّاً
لأنْ يُقَبِّلَ السِكّينْ ..

يا سيِّداتي ، سَادَتي :
مِنْ سنة العشرينْ
ونحنُ كالدجاج في أقفاصِنَا
ننظُرُ في بلاهةٍ ..
إلى خطوط سِكَّة الحديدْ
أُفْقِيَـةٌ حياتُنا ..
مثلَ خطوط سِكَّة الحديدْ ..
ضيِّـقَةٌ أيّامُنا
مثلَ خطوط سِكَّة الحديدْ ..

ساعاتُنا واقفةٌ ..
لا اللهُ يأتينا .. ولا موزّعُ البريدْ
من سنة العشرينْ
حتى سنةِ السبعينْ
نجلسُ في انتظار وجه الملكِ السعيدْ
كلُّ الملوك يُشْبهونَ بعضَهُمْ
والملكُ القديمُ ..
مثلُ الملِكِ الجديدْ ...

٢

نَنْتَظِرُ القطارْ ..
ونحملُ البيارقَ الحمراءَ .. والأزهارْ
تَمْضَغُنَا ..
مُكبِّراتُ الصوت في الليل ، وفي النهارْ
تنشُرُنا إذاعةُ الدولة بالمنشارْ
إنْتَبِهُوا ! ...
إنْتَبِهُوا ! ...
خمسينَ يوماً ـ رُبَّما ـ تأخَّر القِطَارْ ..
خمسينَ عاماً ـ رُبَّما ـ تأخَّر القِطارْ ..
خمسينَ قَرْناً ـ رُبَّما ـ تأخَّر القطارْ ..

تَقَيحَّتْ أفخاذُنا ...
من كثرة الجُلُوسْ
تقيَّحتْ في رأسنا الأفكارْ ..
وصارَ لحمُ ظَهْرِنا ..
جُزْءاً من الجدارْ ..
جاؤوا بنا ، عشرينَ ألفَ مرّةٍ
تحت عويل الريح والأمطارْ
واستأجَرُوا الباصاتِ كي تنقلَنا
ووزَّعُوا الأدوارْ ..

وعَلَّمونا ..
كالقُرُود الرقْصَ ..
والعَزْفَ على المزمارْ
ودَرَّبُونا ..
ككلابِ الصَيْد .. كيف نَنْحَني
للقادم المَسْكُونِ بالدهْشَةِ والأسرارْ ..
إذا أتى القطارْ ...

٣

لم نَرَهُ ..
لكنَّ من رأوهُ فوق الشاشة الصغيرَهْ
يبتلِعُ الزُجَاجَ ..
أو يسيرُ كالهُنود فوق النارْ
ويُخْرِجُ الأرانبَ البيضاءَ من جُيُوبهِ
ويقلبُ الفَحْمَ إلى نُضَارْ
يؤكِّدون أنَّهُ ..
من أولياء اللهِ ، جلَّ شأنُهُ
وأنَّ نُورَ وجههِ يُحيِّرُ الأَبْصَارْ ..

وأنَّه سيحملُ القمحَ إلى بيوتنا
والسمنَ .. والطحينَ .. بالقنطارْ
ويجعلُ العميانَ يُبْصرونْ
ويجعلُ الأمواتَ ينهضُونْ
ويزرعُ الحنطةَ في البحارْ
وأنَّهُ - في سَنَوات حُكْمِهِ -
يُدْخِلُنا لجنَّةٍ ..
من تحتِها تَنْسكِبُ الأنْهَارْ ..

لم نَرَهُ ..
ولم نُقَبِّلْ يَدَهُ ..
لكنَّ مَنْ تَبَرَّكُوا يوماً بهِ ..
قالُوا بأن صوتَهُ
يُحَرِّكُ الأحجَارْ ..
وأنَّهُ ..
وأنَّهُ ..
هو العزيزُ .. الواحدُ .. القَهَّارْ ..

٤

نَـنْـتَظِرُ القطارْ ..
مَـكْسُورَةٌ ـ منذُ أتَـيْـنَا ـ ساعةُ الزَمَانْ
والوقتُ لا يمُرُّ ..
والثواني ما لها سِيقَانْ
تعلكُنا ..
تَـنْهَشُنا ..
مكبِّراتُ الصَوْت بالأسنانْ
إنْـتَبِهُوا ! ...
إنْـتَبِهُوا ! ...
لا أَحَدٌ يقدرُ أن يغادرَ المكانْ ..

ليشتري جريدةً ..
أو كَعْكَةً ..
أو قطعةً صغرى من اللبانْ
لربِّهِ ، لا أَحَدٌ ، يقدر أن يقولَ :
(يا ربَّاهْ) ..
لا أَحَدٌ ..
يقدرُ أن يدخلَ ، حتَّى ، دورةَ المياهْ ..
تعالَ يا غُودُو ..
وخَلِّصْنَا من الطغاةِ والطُغْيَانْ ..

فنحنُ محبوسُونَ في محطَّة التاريخ كالخِرفَانْ
أولادُنا ناموا على أكتافِنَا ..
رئاتُنا ، تسمَّمَتْ بالفحم والدُخانْ
والعَرْضحالاتُ التي نحمِلُها
عن قلّة الدواءِ ..
والغلاءِ ..
والحِرْمَانْ ..
صادَرَها مُرافِقُو السُلْطَانْ
تعال يا غُودُو .. وجَفِّفْ دمْعَنا ..
وأَنقِذِ الإنسانَ من مخالب الإنسانْ ..

٥

تعالَ يا غُودُو ..
فقد تخشَّبَتْ أقدامُنا انتظارْ
وصار جِلْدُ وجهنا
كقطعة الآثارْ ..
تبخَّرَتْ أنهارُنا
وهاجَرَتْ جبالُنا
وجَفَّتِ البحارْ .
وأصبحتْ أعمارُنا ليس لها أعمارْ ..

تعالَ يا غُودُو .. فإنَّ أرضَنا
ترفضُ أن تزورَها الأمطارْ
ترفضُ أن تكبُرَ في ترابنا الأشجارْ
تعالَ .. فالنساءُ لا يَحْبَلْنَ ..
والحليبُ لا يدرٌّ في الأبقارْ
إنْ لم تجيءْ من أجلنا نحنُ ..
فمن أجل الملايين من الصِغَارْ ..

من أجل شعبٍ طيِّبٍ
ما زالَ في أحلامِهِ
يُقَرْقِشُ الأحْجَارْ..
يُقَرقِشُ المُعَلَّقاتِ العَشْرَ..
والجرائدَ القديمَهْ..
ونَشْرةَ الأخبارْ..

مُورفين

١

اللفْظَةُ طابَةُ مطّاطٍ
يقذفُها الحاكمُ من شُرْفَتِهِ للشارعْ
ووراءَ الطابة يجري الشَعْبُ
ويلْهَثُ كالكلبِ الجائعْ ...

٢

اللفْظَةُ في الشرق العربيِّ
أراجُوزٌ بارِعْ
يتكلَّمُ سَبْعَةَ ألسِنَةٍ
ويُطِلُّ بقبَّعةٍ حمراءْ ..
ويبيعُ الجنَّةَ للبُسَطَاءْ ..
وأساورَ من خَرَزٍ لامِعْ ..
ويبيعُ لهُمْ .. فئراناً بِيضَاً .. وضفادِعْ ..

٣

اللفْظَةُ جَسَدٌ مهترِيءٌ
ضاجَعَهُ الكاتبُ ، والصُحُفيُّ ،
وضاجعَهُ ...
شيخُ الجامعْ ..

٤

اللفْظَةُ إبرةُ مُورفينٍ
يحقنُها الحاكمُ للجُمْهُورِ
من القَرْن السابعْ ..
اللفْظَةُ في بلدي امرأةٌ
تحترفُ الفُحْشَ من القَرْن السابعْ ..

قراءةٌ على أضرحة المجاذيب

١

أرفُضُكُمْ جميعَكُمْ
وأخْتُمُ الحِوارْ
لم يبق عندي لغةٌ
أضرمتُ في معاجمي
وفي ثيابي النارْ ..

هَرَبْتُ من عمرو بنِ كُلثُومٍ
ومن رائيّةِ الفرزدق الطويلَهْ
هاجرتُ من صوتي ..
ومن كتابتي ..
هاجرتُ من ولادتي ..
هاجرتُ من مدائن الملحِ ،
ومن قصائد الفَخَّارْ ..

٢

حملتُ أشجاري إلىصحرائكُمْ
فانتحرتْ ..
من يأسها الأشجارْ
حملتُ أمطاري إلى جفافكُمْ
فشَحَّتِ الأمطارْ
زَرَعْتُ في أرحامكم قصائدي
فاختنقَتْ ..
يا رَحِماً .. يَحْبَلُ بالشَوْكِ وبالغُبَارْ ..

حاولتُ أن أقْلَعَكُمْ
مِنْ دَبقِ التاريخِ ..
مِنْ رُزْنامةِ الأقدارْ ..
ومِنْ (قِفَا نَبْكِ) ...
ومن عبادة الأحجَارْ ..
حاولتُ أن أفكَّ عن طَرْوَادةٍ حِصَارَها ،
حاصَرَني الحِصَارْ .

٤

أَرفُضُكُمْ ..
أَرفُضُكُمْ ..
يا مَنْ صنعتُم ربَّكُمْ من عَجْوَةٍ ..
لكُلِّ مَجْذُوبٍ بَنَيْتُمْ قُبَّةً
وكُلُّ دَجَّالٍ أقمتُمْ حوله مَزَارْ
حاولتُ أنْ أنقذَكُمْ
من ساعة الرمل التي تبلعُكُمْ
في الليل والنهارْ

مِنَ الحِجَابَاتِ على صدورِكُمْ
مِنَ القراءاتِ التي تُتْلَى على قُبُورِكُمْ
مِنْ حَلَقَاتِ الذِكْرِ ،
مِنْ قراءة الكفِّ ،
ورَقْصِ الزَارْ ..
حاولتُ أن أدقَّ في جلودكم مِسْمَارْ
يئستُ من جلودكُمْ
يئستُ من أظافري
يئستُ من سَمَاكة الجدارْ ...

٥

مِنْ مَلَلي ..
شنقْتُ نَفْسي أمْسِ ، في ضفائر الحبيبَهْ ..
لم أستطِعْ أن أفعلَ الحُبَّ .. كما عوَّدتُها ..
كانتْ خُطُوطُ جسمها غريبَهْ
كان السريرُ بارداً ..
والبَرْدُ كان بارداً ..
ونَهْدُ من أحبُّها ليمونة كئيبَهْ
بعد حزيرانَ ، أضَعْتُ شهوتي
سقطتُ فوق ساعديْ حبيبتي
كالرايةِ المَثْقُوبَهْ ..

٦

أنظُرُ كالمشدوه .. في خريطة العروبَهْ
في كُلِّ شِبْرٍ أُعْلِنَتْ خلافةٌ
وحاكمٌ بأمرِهِ ..
وخَيْمةٌ مَنْصُوبَهْ
تُضحِكُني الأعلامُ .. والأخْتَامُ ..
والممالِكُ التركيبَهْ ..
وسلطناتُ القشِّ .. والكرتونِ ،
والشرائع العجيبَهْ ..
ومَشْيَخَاتُ النفطِ .. والزَواجِ بالمُتْعةِ ..
والغرائزِ المشْبُوبَهْ ..

٧

أَمْشِي غريبَ الوجه في غرناطةٍ ..
أَحتضِنُ الأطفالَ ..
والأشجارَ ..
والمآذنَ المقْلُوبَهْ ..
فهاهُنا المرابطونَ رابَطُوا ..
وهاهُنا الموحِّدونَ خيَّموا ...
وهاهُنا .. مجالسُ الشرابِ .. والنساءِ ..
والغيبوبَهْ ..
وهاهُنا .. عباءةٌ داميةٌ
وهاهُنا ... مَشْنَقَةٌ منصُوبَهْ ..

٨

تَـنَاثَري ..
كالوَرَق اليابِسِ ، يا قبائلَ العُرُوبَهْ
واقْـتَتِـلي ..
واخْـتَصِمي ..
وانْـتَحِري ..
يا طَبْعةً ثانيةً ..
من سيرةِ الأندلسِ المغلُوبَهْ ..

حوارٌ مع ملك المَغُول

١

يا مَلِكَ المَغُولْ ..
يا وارثَ الجَزْمةِ .. والكِرْبَاجِ ..
عن جَدِّكَ أرطُغْرُولْ ..
يا مَنْ تَرَانا كلَّنا خيُولْ ..
تركَبُها ..
في زَفَّةِ الأبواقِ والطُبُولْ
لا فَرْقَ ـ من نوافذ القُصُور ـ
بين الناسِ والخُيُولْ ..

٢

يا مَلِكَ المَغُولْ ..
يا أيُّها الغاضبُ من صهيلنا ..
يا أيُّها الخائفُ من تفتُّح الحُقُولْ
أريدُ أن أقولْ ..
من قَبْل أن يقتلَني سيَّافُكُمْ مَسْرُورْ ..
وقَبْلَ أن يأتي شهودُ الزُورْ ..

أريدُ أن أقُولَ كِلْمَتَيْنْ ..
لزوجتي الحاملِ من شُهُورْ ..
وأصدقائي كلِّهِمْ
وشَعْبيَ المقهُورْ ..
أريدُ أن أقولَ : إنيِّ شاعرٌ ..
أحمِلُ في حنجرتي عُصْفُورْ ..
أرفُضُ أن أبيعَهُ ..
وأَنتَ من حُنْجَرَتي ..
تريدُ أن تُصَادِرَ العصفُورْ ..

٣

يا مَلِكَ المَغُولْ ..
يا قاهِرَ الجيوش ، يا مُدَحْرِجَ الرؤوسِ ،
يا مُدَوِّخَ البُحُورْ ..
يا عاجِنَ الحديد ، يا مُفَتِّتَ الصُخُورْ
يا آكلَ الأطفال .. يا مُغْتَصِبَ الأبْكَارِ ..
يا مُفْتَرِسَ العُطُورْ ..
واعَجَبي ! ...
واعَجَبي ! ..
أأنتَ .. والشُرْطَةُ .. والجَيْشُ ..
على عُصْفُورْ ؟ ؟ ؟ ...

إلى الجندي العربيّ المجهول

١

لو يُقْتَلُونَ .. مثلما قُتِلْتْ
لو يَعْرِفُونَ أن يموتُوا .. مثلما فَعَلْتْ ..
لو مُدْمِنُو الكلام في بلادنا
قد بَذَلُوا نِصْفَ الذي بَذَلتْ ..
لو أنَّهُمْ من خلف طاولاتهِمْ
قد خَرَجوا .. كما خرجتَ أنتْ ..

واحْتَرقُوا ..
في لَهَب المجدِ ، كما احْتَرَقْتْ ..
لم يَسْقُطِ المسيحُ مذبوحاً ..
على تُراب الناصِرَهْ ..
ولا استُبِيحَتْ تَغْلِبُ
وانْكَسَرَ المناذرَهْ ..
لو قَرَأُوا ..
ـ وهُمْ ينامُونَ على صدور مَحْظِيَّاتِهِمْ ـ
بَعْضَ الذي كَتَبتْ ..

٢

لكنَّ من عرفْتَهُمْ ..
ظَلُّوا على الحال التي عَرَفتْ ..
يُدَخِّنُونَ ..
يَسْكَرُون ..
يقتُلُونَ الوقتْ ..
ويُطعمونَ الشعبَ أوراقَ البلاغاتِ ـ كما عَلِمتْ ـ
وبعضُهُمْ يغوصُ في وُحُولِهِ ..
وبعضُهُمْ يغُصُّ في بترولِهِ ..
وبعضُهُمْ .. قد أغلقَ البابَ على حريمِهِ ..
ومُنْتَهى نضالِهِ ..
جاريةٌ في التَخْتْ ! ! .

٣

يا أَشْرفَ القتلى ..
على أجفاننا أزْهَرْتْ ..
الخطوةُ الأولى إلى تحريرِنا
أنتَ بها بدأتْ ..
يا أيُّها الغارقُ في دمائِهِ
جميعُهُمْ قد كَذَبُوا ..
وأنتَ قد صَدَقتْ ..
جميعُهُمْ قد هُزِمُوا ..
ووحدَكَ انتصَرْتْ ...

طريقٌ واحد

١

أُريدُ بُنْدُقيَّهْ ..
خاتَمُ أمّي بعتُهُ
من أجل بُنْدُقِيَّهْ
محفظتي رهَنْتُها
دفاتري رهَنْتُها
من أجل بندقيَّهْ
اللغةُ التي بها دَرَسْنَا
الكُتُبُ التي بها قَرَأْنا
قصائدُ الشعر التي حفظنا ..
ليستْ تُساوي درهماً
أمامَ بُنْدُقيَّهْ ..

٢

أصبحَ عندي الآنَ بُنْدُقيَّهْ ..
إلى فلسطينَ خذوني معكُمْ
إلى رُبىً حزينةٍ كوجه مجدليَّهْ
إلى القِباب الخُضْرِ ، والحجارةِ النبيَّهْ
عشرونَ عاماً .. وأنا ..
أبْحثُ عن أرضٍ .. وعن هويَّهْ ..
أَبحثُ عن بيتي الذي هناكْ
عن وطني المحاطِ بالأسلاكْ ..
أبحثُ عن طفولتي .. وعن رفاق حارَتي
عن كُتُبي .. عن صُوَري ..
عن كُلّ ركْنٍ دافيءٍ .. وكُلِّ مَزْهريَّهْ ..

٣

أصبحَ عندي الآنَ بُنْدُقيَّهْ
إلى فلسطينَ خذوني مَعكُمْ ، يا أيُّها الرجالْ
أُريدُ أن أعيشَ أو أموتَ كالرجالْ
أُريدُ أن أنبتَ في ترابِها .. زيتونةً أو حَقْلَ برتُقَالْ
أو زهْرَةً شَذِيَّهْ ..
قُولوا لمن يسأل عن قضيّتي ..
بارُودتي .. صارتْ هي القضيَّهْ ..

٤

أصبحَ عندي الآنَ بُنْدُقيَّهْ
أصبحتُ في قائمة الثُوَّارْ
أَفْتَرِشُ الأشواكَ والغُبارْ
وألبسُ المنيَّهْ ..
مشيئةُ الأقدار لا تردُّني
أنا الذي أُغَيِّرُ الأقدارْ ..

٤

يا أيُّها الثُوَّارْ ..
في القدسِ ، في الخليلِ ، في بيسانَ ، في الأغوارْ
في بيت لَحْم ..
حيثُ كنتُمْ أيُّها الأحرارْ ..
تقدَّمُوا ...
تقدَّمُوا ..
فقصَّةُ السلام مسرحيَّهْ
والعَدْلُ مسرحيَّهْ ..
إلى فلسطينَ طريقٌ واحدٌ
يمرُّ من فَوْهةِ بُنْدُقيَّهْ ...

لصُــوصُ المتَاحِف

نَسْطُو على متاحف التاريخ في الظلامْ
ونسرقُ الخيولَ ،
والدُرُوعَ ،
والأَعْلامْ ..
نسرُقُ سيفَ خالدٍ ..
نَسْرُقُ ديوانَ أبي تَمَّامْ ..
ونسرقُ المجدَ الذي يَخُصُّهُمْ
ونسرقُ الأيَّامْ
خيرٌ لنا أن ندفنَ السذاجَهْ
ونتركَ التاريخَ في الثلّاجَهْ

تعريفٌ غير كلاسيكيّ للوطـن

وطني !
يَفْهَمُكَ السُذَّجُ رَيْحَاناً وراحْ
ويظنُّونكَ درويشاً يهزُّ الرأسَ ..
أو رقْصَ سَمَاحْ ..
ويظنُّونَكَ في غَفْلَتِهِمْ
نَغْمَةً من بُزُقٍ ..
وقَنَاني عَرَق ..
ومواويلَ تُغَنَّى للصباحْ

وَطَني !
يا أيُّها الصدرُ المُغَطَّى بالجراحْ
وَطَني ..
مَنْ أنتَ ؟ إنْ لم تنفجِرْ
تحت إسرائيلَ ، صندوقَ سلاحْ ...

خطابٌ شخصيٌ
إلى شهر حزيران

١

كُنْ يا حزيرانُ انفجاراً ..
في جماجمنا القديمَهْ ..
كَنِّسْ ألوفَ المفرداتِ ،
وكَنِّسِ الأمثالَ ، والحِكَمَ القديمَهْ
مَزِّقْ عباءتَنا التي بليَتْ
ومَزِّقْ جِلْدَ أوجُهِنا الدميمَهْ ..
وكُنِ التغيُّرَ .. والتَطَرُّفَ ..
والخُروجَ على الخطوط المُسْتقيمَهْ ..

أطْلِقْ على الماضي الرصاصَ ..
كُنِ المسدَّسَ ..
والجريمَهْ ..
من بعــد موت الله مَشْنُوقاً ..
على باب المدينَهْ ..
لم تَـبْقَ للصَلَواتِ قيمَهْ ..
لم يَـبْقَ للإيمان .. أو للكُفْرِ قيمَهْ ..

قصيدةُ إعتذار لأبي تمّـام

ألقيت في مهرجان أبي تمّام بالموصل
في كانون الأول (ديسمبر) ١٩٧١

١

أحِبَّائي :
إذا جئنا لنَحْضَرَ حفلةً للزارِ ..
مِنْها يَضْجرُ الضَجَرُ
إذا كانتْ طُبُول الشِعْرِ ، يا سادَهْ
تُفَرِّقُنَا .. وتَجْمعُنَا
وتُعطينا حُبُوبَ النوم في فَمِنا
وتسْطُلُنَا .. وتكسِرُنا ..
كما الأوراقُ في تشرينَ تَنْكسِرُ
فإنّي سوفَ أعْتَذِرُ ..

٢

أحِبَّائي :
إذا كُنَّا سنرقُصُ دون سيقانٍ .. كعادتِنا
ونخطُبُ دونَ أسنانٍ .. كعادتِنا ..
ونؤمنُ دون إيمانٍ .. كعادتِنا ..
ونشنُقُ كلَّ من جاؤوا إلى القاعَهْ
على حَبْلٍ طويلٍ من بلاغتِنا ..
سَأَجمعُ كلَّ أوراقي ...
وأعتذِرُ ...

٣

إذا كُنَّا سنبقى أيُّها السَادَهْ
لِيَوْمِ الدينِ .. مختلفينَ حول كتابة الهَمْزَهْ ..
وحول قصيدةٍ نُسِبَتْ إلى عَمْرو بنِ كُلْثُومٍ ...
إذا كُنَّا سنقرأ مرةً أُخرى
قصائدَنا التي كُنَّا قرأناها ..
ونمضغُ مرةً أُخرى
حُروفَ النَصْبِ والجَرِّ .. التي كُنَّا مَضَغْنَاها
إذا كُنَّا سنكذبُ مرةً أُخرى
ونَخْدعُ مرةً أخرى الجماهيرَ التي كُنَّا خدعناها
ونُرْعِدُ مرةً أخرى ، ولا مَطَرُ ...
سأجمعُ كلَّ أوراقي ..
وأعتذِرُ ..

٤

إذا كُنَّا تلاقيْنَا
لكيْ نتبادلَ الأنْخَابَ ، أو نَسْكَرْ ..
ونَسْتَلْقي على تَخْتٍ من الريحان والعَنْبَرْ
إذا كُنَّا نظُنُّ الشِعْرَ راقصةً .. مع الأفراح تُسْتَأجَرْ
وفي الميلاد ، والتأبين تُسْتأجَرْ
ونتلوهُ كما نتلو كلامَ الزير أو عَنْتَرْ
إذا كانتْ همومُ الشِعْر يا سادَهْ
هي الترفيهَ عن معشوقة القيصَرْ
ورشْوةَ كلِّ من في القصر من حَرَسٍ .. ومن عسكَرْ ..
إذا كُنَّا سنَسْرُق خُطْبَةَ الحجَّاجِ .. والحجَّاجَ .. والمِنْبَرْ ..
ونذبحُ بعضَنا بعضاً لنعرفَ مَنْ بنا أشْعَرْ ..
فأكبَرُ شاعرٍ فينا هو الخِنْجَرْ ...

٥

أَبَا تَمَّام .. أينَ تكونُ .. أينَ حديثُكَ العَطِرُ ؟
وأينَ يدٌ مغامرةٌ تسافرُ في مجاهيلٍ ، وتَبْتكِرُ ..
أَبَا تمَّام ..
أرْمَلةٌ قصائدُنا .. وأرْمَلَةٌ كتابتُنا ..
وأرْملةٌ هي الألفاظُ والصُوَرُ ..
فلا ماءٌ يسيلُ على دفاترِنا ..
ولا ريحٌ تهُبُّ على مراكبنا
ولا شمسٌ ، ولا قَمَرُ
أَبَا تمَّام ، دار الشِعْرُ دَوْرَتَهُ
وثَارَ اللفظُ .. والقاموسُ ..
ثارَ البَدْوُ والحَضَرُ ..

ومَلَّ البَحْرُ زُرْقتهُ ..
وملَّ جُذُوعَهُ الشَجَرُ
ونحنُ هُنا ..
كأهلِ الكهفِ .. لا عِلْمٌ ولا خَبَرُ
فلا ثُوَّارُنا ثارُوا ..
ولا شُعراؤنا شَعَرُوا ..
أَبا تمَّام : لا تقرأْ قصائدَنا ..
فكُلُّ قصورنا وَرَقٌ ..
وكلُّ دُمُوعِنَا حَجَرُ ..

٦

أَبَا تَمَّام : إنَّ الشعرَ في أعماقِهِ سَفَرُ
وإبْحَارٌ الى الآتي .. وكَشْفٌ ليسَ يُنْتَظَرُ
ولكِنَّا .. جعلنا منهُ شيئاً يشبهُ الزفَّهْ
وإيقاعاً نُحاسيّاً ، يدقُّ كأنَّه القَدَرُ ..

٧

أميرَ الحَرْف .. سامِحْنا
فقد خُنَّا جميعاً مهنةَ الحَرْفِ
وأرهقناهُ بالتشطير ، والتربيع ، والتخميسِ ، والوصْفِ
أَبَا تَمَّام .. إنَّ النارَ تأكُلُنا
وما زلنا نجادلُ بعضَنا بعضاً ..
عن المَصْرُوفِ .. والممنوعِ من صَرْفِ ..
وجيشُ الغاصبِ المُحْتَلِّ ممنوعٌ من الصَرْفِ ! !.

ومازلنا نُطَقْطِقُ عَظْمَ أرجُلنا
ونقعدُ في بيوت الله ننتظِرُ ..
بأنْ يأتي الأمامُ عليٌّ .. أو يأتي لنا عُمَرُ
ولنْ يأتُوا .. ولنْ يأتُوا ..
فلا أحَدٌ بسيف سواه ينتَصِرُ ..

٨

أَبَا تَمَّام : إنَّ الناس بالكلمات قد كَفَرُوا
وبالشعراء قد كَفَروا ..
فقُلْ لي أيُّها الشاعِرْ
لماذا شعرُنا العربيُّ قد يبستْ مفاصلُهُ
من التكرارِ ، واصْفَرَّتْ سنابلُهُ ..
وقُلْ لي أيُّها الشاعرْ
لماذا الشِعْرُ ـ حينَ يشيخُ ـ
لا يستلُّ سِكّيناً .. وينتحِرُ ؟ ؟

جمال عبد الناصر

١

قَتَلْنَاكَ .. يا آخِرَ الأَنْبِيَاءْ
قَتَلْنَاكَ ..
ليسَ جديداً علينا
اغتيالُ الصحابة والأولياءْ
فكَمْ من رسولٍ قَتَلْنَا ..
وكم مِنْ إمامٍ ذَبَحْنَاهُ وهْوَ يصلّي صلاةَ العشاءْ ..
فتاريخُنا كلُّهُ مِحْنَةٌ ..
وأيّامُنا كلُّها كَرْبَلاءْ ...

٢

نَزَلتَ علينا كتاباً جميلاً
ولكنَّنا لا نُجيدُ القراءَهْ..
وسافرتَ فينا لأرض البراءَهْ..
ولكنَّنا ما قَبِلنا الرحيلا
تركناكَ في شمس سيناءَ وحْدَكْ..
تُكلّمُ ربَّكَ في الطُور وحْدَكْ..
وتَعْرَى.. وتَشْقَى.. وتعطشُ وحْدَكْ..
ونحنُ هُنا.. نجلسُ القرفُصَاءْ
نبيعُ الشعارات للأغبياءْ
ونحشُو الجماهيرَ تِبْنَاً.. وقَشَّاً..
ونتركُهُمْ يعلكونَ الهواءْ

٣

قَتَلْنَاكَ .. يا جَبَل الكبرياءْ
وآخِرَ قنديل زيْتٍ
يُضيءُ لنا ، في ليالي الشتاءْ
وآخِرَ سَيْفٍ من القادسيَّهْ
قتلناكَ نحنُ بكِلْتَا يَدَيْنَا ..
وقُلْنَا : المَنِيَّهْ
لماذا قبلتَ المجيءَ إليْنَا ؟
فمِثْلُكَ كانَ كثيراً عليْنَا ..

سَقَيْنَاكَ سُمَّ العُروبةِ ، حتى شَبِعتْ ..
رمَيْنَاكَ في نار عَمَّانَ ، حتى احْتَرقْتْ
أريناكَ غَدْرَ العروبة ، حتى كَفَرتْ
لماذا ظَهَرتَ بأرض النفاقِ ..
لماذا ظَهَرتْ ؟
فنحنُ شعوبٌ من الجاهليَّهْ
ونحنُ التقلُّبُ ..
نحنُ التَذَبْذُبُ ..
والباطِنيَّهْ ..
نُبايعُ أرْبَابَنا في الصَباحِ
ونأكُلُهُمْ .. حينَ تأتي العَشِيَّهْ ..

٤

قَتَلناكَ ..
يا حُبَّنا وهَوَانا ..
وكُنتَ الصديقَ ، وكنتَ الصَدُوقَ ،
وكُنْتَ أبانا ..
وحينَ غَسَلنا يَدَيْنا ..
اكْتَشَفْنَا ..
بأنَّا قَتَلْنَا مُنَانا ..
وأنَّ دماءَكَ فوق الوسادةِ ..
كانتْ دِمَانا ..

نَفَضْتَ غُبارَ الدراويش عنَّا
أعَدْتَ إلينا صِبَانا
وسافرتَ فينا إلى المُسْتحيلِ
وعلَّمْتَنَا الزَهْوَ والعُنْفُوانا ..
ولكنَّنا ..
حين طال المسيرُ علينا
وطالتْ أظَافِرُنا .. ولِحانَا ..
قَتَلْنَا الحِصَانَا ..
فَتَبَّتْ يدانا ..
فَتَبَّتْ يَدَانا ..

أتَيْنَا إليكَ بعاهاتِنا
وأحقادِنا .. وانْحِرَافَاتِنا
إلى أَنْ ذبَحْنَاكَ ذَبْحاً
بسيف أسانَا
فليتَكَ في أرضِنَا ما ظَهَرْتَ ..
وليتكَ كُنتَ نبيّاً سِوَانا ..

* * *

٥

أَبَا خالدٍ .. يا قصيدةَ شِعْرٍ
تُقَالُ ،
فَيَخْضَرُّ منها المِدَادْ ..
إلى أينَ ؟
يا فارسَ الحُلْم تَمْضي ..
وما الشَوْطُ .. حين يموتُ الجَوَادْ ؟
إلى أينَ ؟
كلُّ الأساطير ماتَتْ
بِمَوْتكَ ، وانْتَحَرَتْ شَهْرَزادْ ..

وراءَ الجنازة .. سارتْ قُرَيْشُ
فهذا هشامٌ ..
وهذا زِيَادْ ..
وهذا ، يُريقُ الدموعَ عليكْ
وخِنْجَرُهُ ، تحتَ ثوبِ الحِدادْ
وهذا يُجاهِدُ في نومِهِ ،
وفي الصحوِ ، يبكي عليه الجِهَادْ ..
وهذا يحاولُ بَعْدَكَ مُلْكاً ..
وبَعْدَكَ ..
كلُّ المُلُوكِ رَمَادْ ...

وُفُودُ الخوارج .. جاءتْ جميعاً
لتنظُمَ فيكَ ملاحِمَ عِشْقْ ..
فَمَنْ كَفَّروكَ ..
ومَنْ خَوَّنُوكَ ..
ومَنْ صلبوكَ بباب دِمَشْقْ ...

* * *

أُنادي عليكَ .. أبا خالِدٍ
وأعرفُ أنيّ أُنادي بِوَادْ
وأعرفُ أنَّكَ لن تَستجيبَ
وأنَّ الخَوارقَ ليستْ تُعادْ ..

الهـــرمُ الرابـع

١

السيِّدُ نَامْ ..
السيِّدُ نامْ ..
السيِّدُ نامَ كنوم السيفِ العائدِ من إحدى الغَزَوَاتْ
السيِّدُ يرقُد مثل الطفل الغافي في حضن الغَابَاتْ
السيِّدُ نامَ ،
وكيفَ أُصَدِّقُ أن الهَرَمَ الرابعَ ماتْ ؟

القائدُ لم يَذْهَبْ أبداً
بل دخَلَ الغُرْفَةَ كي يرتاحْ
وسيصحُو حين تُطِلُّ الشمسُ
كما يصحُو عطرُ التُفَّاحْ
الخبزُ سيأكُلُهُ مَعَنا ..
وسيشربُ قهوتَهُ مَعَنا ..
ونقولُ لَهُ ..
ويقولُ لنا ..
القائِدُ يَشْعُرُ بالإرْهَاقِ ،
فَخَلُّوهُ يَغفُو سَاعَاتْ ...

٢

يا مَنْ تبكونَ على ناصِرْ
السيِّدُ كانَ صديقَ الشمسِ ،
فكُفُّوا عن سَكْبِ العَبَراتْ
السَيِّدُ ما زالَ هُنا ..
يتمشَّى فوق جسور النيل ،
ويجلس في ظلِّ النَخْلاتْ
ويزورُ الجيزةَ عند الفجر
ليلثُمَ حَجَرَ الأهراماتْ
يسأَلُ عن مِصْرَ .. ومَنْ في مِصْرَ ..
ويَسْقي أزهارَ الشُرُفاتْ

ويُصَلّي الجُمْعَةَ .. والعِيدَيْنِ ..
ويقضي للناس الحاجاتْ
ما زالَ هُنا عبدُ الناصرْ
في طَمْي النيلِ ، وزَهر القُطْن ،
وفي أطواق الفلَّاحاتْ ..
في فَرَح الشعب ..
وحُزْنِ الشعب ..
وفي الأمثال وفي الكلِمَاتْ ..
ما زالَ هُنا عبدُ الناصرْ
من قالَ الهرمُ الرابعُ ماتْ ؟

٣

يا مَنْ يتساءَلُ : أين مضى عبدُ الناصرْ ؟
يا مَنْ يتساءَلُ :
هل يأتي عبدُ الناصرْ ؟
السيِّدُ موجودٌ فينا ..
موجودٌ في أرغفة الخبزِ ،
وفي أزهار أوانينا
مرسومٌ فوق نجوم الصيفِ ،
وفوقَ رمال شواطينا ..

موجودٌ في أوراق المُصْحَفِ ،
في صَلَوات مُصَلِّينَا ..
موجودٌ في كَلِمَات الحُبِّ ،
وفي أصوات مُغَنّينا
موجودٌ في عَرَق العُمَّالِ ،
وفي أسْوَانَ ، وفي سِينَا
مكتوبٌ فوق بنادقنا ..
مكتوبٌ فوقَ تَحَدّينا
السيّدُ نامَ .. وإن رجَعَتْ
أسْرابُ الطيرِ ،
سَيَأتينا ...

رسالةٌ إلى جمال عبد الناصر

١

هذا خطابٌ عاجلٌ إليكْ
من أَرضِ مِصْرَ الطيِّبَهْ
مِنْ ليلها المشْغُولِ بالفيروز والجواهِرِ
ومن مقاهي سيّدي الحُسَيْنِ ، من حدائق القناطِرِ
من تُرَعِ النيل التي تَرَكْتَها .. حزينةَ الضفائرِ
هذا خطابٌ عاجلٌ إليكْ
من الملايينِ التي قد أدْمَنَتْ هَوَاكْ
من الملايينِ التي تُريدُ أن تَرَاكْ
عندي خطابٌ كلُّهُ أشْجَانْ
لكنّني .. لكنّني يا سيِّدي
لا أعرفُ العُنوانْ ..

٢

الزَرْعُ في الغيطان ، والأولادُ في البَلَدْ
ومَوْلدُ النبيِّ ،
والمآذِنُ الزرقاءُ ،
والأجْرَاسُ في يوم الأَحَدْ
وهذهِ القاهرةُ التي غَفَتْ
كزَهْرةٍ بيضاءَ في شَعْر الأبَدْ
يُسلّمُونَ كلُّهُمْ عليكْ
يُقبِّلُونَ كلُّهُمْ يَدَيْكْ
ويسألونَ عنكَ كلَّ قادمٍ إلى البَلَدْ
متى تَعُودُ للبَلَدْ ؟..

٣

حَمَائمُ الأزْهَرِ ، يا حبيبَنَا ، تُهدي لكَ السلَامْ
مُعَدِّيَاتُ النيل ، يا حبيبَنَا ، تُهدي لكَ السلامْ
والقطنُ في الحقول ، والنخيلُ ، والغَمَامْ
جميعُها .. جميعُها .. تُهدي لكَ السَلَامْ
كُرْسِيُّكَ المهجورُ في (مِنْشيَّة البكريِّ) يبكي فارسَ الأحلامْ
والصبرُ لا صبرَ لَهُ ..
والنَوْمُ لا يَنَامْ ..
وساعةُ الجدار ، من ذُهولها ، ضيَّعتِ الأيَّامْ
يا مَنْ سكَنْتَ الوقْتَ ، والتاريخَ ، والأيَّامْ ..
عندي خطابٌ عاجلٌ إليكْ ..
لكنِّي يا سيِّدي .. لا أجِدُ الكَلَامْ

٤

الحزنُ مرسومٌ على الغيوم ، والأشجار ، والسَتَائِرِ
وأنتَ سافرتَ .. ولم تُسافِرِ ..
فأنتَ في رائحة الأرض ، وفي تَفَتُّح الأزَاهِرِ ..
في صوت كُلِّ موجةٍ ، وصوت كُلِّ طائرِ ..
في كُتُب الأطفال ، في الحُرُوفِ ، في الدفاترِ
في خُضْرَة العيون ، وارتعاشة الأساورِ ..
في صدرِ كُلِّ مؤمنٍ ، وسيف كُلِّ ثائِرِ
عندي خطابٌ عاجلٌ ..
لكنَّي .. لكنَّي يا سيِّدي
تَسْحقُني مشاعِري ..

٥

يا أيُّها المُعَلِّمُ الكبيرْ
كم حُزْنُنَا كبيرْ
كم جُرْحُنا كبيرْ
لكنَّنا ..
نُقْسِمُ باللهِ العليِّ القديرْ
أن نَحبِسَ الدُّموعَ في الأحداقْ
ونخنقَ العَبْرَهْ ..
نُقْسِمُ باللهِ العليِّ القديرْ
أن نحفظَ الميثاقْ
ونحفظَ الثورَهْ ..

٦

وعندما يسألُنا أولادُنا
مَنْ أنْتُمُ ؟
في أيٍّ عصرٍ عِشْتُمُ ؟
في عصرِ أيٍّ مُلْهَمٍ ؟
في عصر أيٍّ ساحِرِ ؟
نُجيبُهُمْ : في عَصْر عبدِ الناصِرِ
اللهَ .. ما أرْوَعَها شهادةً
أن يُوجَدَ الإنسانُ في زمان عبدِ الناصرِ

١٩٧٠/١٠/٢٥

إليه في يوم ميلاده

ألقيت في كانون الثاني (يناير) ١٩٧١ في ذكرى ميلاد القائد جمال عبد الناصر .

زَمَانُكَ بُسْتانٌ .. وعَصْرُكَ أَخضرُ
وذكراكَ ، عصفورٌ من القلب يَنْقُرُ

ملأنا لكَ الأقداحَ ، يا مَنْ بِحُبِّهِ
سَكِرْنا ، كما الصُوفيُّ بالله يَسْكَرُ

دخلتَ على تاريخنا ذاتَ ليلةٍ
فرائحةُ التاريخ مِسْكٌ وعَنْبَرُ

وكُنْتَ ، فكانتْ في الحقول سنابلٌ
وكانتْ عصافيرٌ .. وكان صَنَوْبَرُ

لَمَسْتَ أمانينا ، فصارتْ جداولاً
وأمْطَرتَنَا حُبّاً ، ولا زلتَ تُمْطِرُ

تأخَّرتَ عن وعد الهوى يا حبيبَنَا
وما كنتَ عن وعد الهوى تتأخّرُ

سَهِدْنَا .. وفكَّرنا .. وشاختْ دموعُنا
وشابتْ ليالينا ، وما كنتَ تحضُرُ

تعاودني ذكراكَ كلَّ عَشِيَّةٍ
ويورقُ فِكْري حين فيكَ أُفكِّرُ ..

وتأبى جراحي أن تَضُمَّ شفاهَهَا
كأنَّ جراحَ الحُبِّ لا تَتَخَثَّرُ

أُحِبُّكَ. لا تفسيرَ عندي لصَبْوَتي
أُفَسِّرُ ماذا ؟ والهوى لا يُفَسَّرُ

تأخّرتَ يا أغْلى الرجال ، فليلُنا
طويلٌ ، وأضواءُ القناديل تسهرُ

تأخَّرتَ .. فالساعاتُ تأكُلُ نَفْسَها
وأيّامُنا في بعضِها تتعثَّرُ

أتسأَلُ عن أعمارِنَا ؟ أنتَ عُمْرُنا
وأنتَ لنا المَهْديُّ .. أنتَ المُحرِّرُ

وأنتَ أبو الثَوْرات ، أَنتَ وَقُودُها
وأنتَ انبعاثُ الأرض ، أنتَ التَغَيُّرُ

تضيقُ قبورُ الميِّتينَ بمَـنْ بهـــا
وفي كُلِّ يومٍ أَنْتَ في القبر تكبُرُ

* * *

تأخّرتَ عنّا .. فالجيـادُ حزينـةٌ
وسيفُكَ من أشواقِهِ ، كادَ يكفُرُ

حصانُكَ في سيناءَ يشربُ دمعَـهُ
ويا لعذاب الخيل ، إذْ تتذكَّـرُ

ورایاتُكَ الخضراءُ تمضغُ دُرْبَهـا
وفوقكَ آلافُ الأكاليـلِ تُـضْفَـرُ

تأخّرتَ عنّا .. فالمسيحُ مُعَــذَّبٌ
هناكَ ، وجُرحُ المجدليّــة أحْـمَـرُ ..

نســاءُ فلسطينٍ تـكَـحَّلْـنَ بـالأسى
وفي بيت لحمٍ قاصراتٌ .. وقُـصَّرُ

وليمونُ يافا يابسٌ في حُـقُولِـــهِ
وهل شَجَرٌ في قبضـة الظلم يُزْهِرُ ؟

* * *

رفيقَ صلاح الدين .. هل لكَ عودةٌ
فإنَّ جيوشَ الرُوم تَـنْهَى وتــأْمُـرُ

رفاقُـكَ في الأغوار شَـدُّوا سُرُوجَهُمْ .
وجُـنْدُكَ في حِطّينَ ، صلُّوا .. وكـبَّرُوا ..

تُغَنِّي بكَ الدُنْيا .. كأنَّكَ طارقٌ
على بَرَكات الله ، يَرْسُو .. ويُبْحِرُ

تناديكَ من شوقٍ مآذِنُ مكَّةٍ
وتبكيكَ بَدْرٌ ، يا حبيبي ، وخَيْبَرُ

ويبكيكَ صفصاف الشآمِ وورِدُها
ويبكيكَ زَهْرُ الغُوطَتَيْنِ ، ودُمَّرُ

* * *

تعالَ إلينا .. فالمُرُوءاتُ أطْرَقَتْ
وموطنُ آبائي زُجاجٌ مُكَسَّرُ ..

هُزِمْنَا .. وما زلنا شِتَاتَ قبائلٍ
تعيشُ على الحقد الدفين وتَثْأَرُ

رفيقَ صلاحِ الدّينِ .. هل لكَ عَوْدَةٌ
فإنَّ جيوشَ الروم تَنْهَى ، وتأمُرُ

يحاصِرُنا كالموت ألْفُ خليفةٍ
ففي الشرق هولاكُو .. وفي الغَرْب قَيْصَرُ

* * *

أبا خالدٍ أشكُو إليكَ مواجِعي
ومثلي لهُ عُذْرٌ .. ومثْلُكَ يعذُرُ

أنا شَجَرُ الأحزان ، أنزفُ دائماً
وفي الثلج والأنواءِ .. أُعطي وأُثْمِرُ

يُثيرُ حزيرانٌ جُنوني ونقْمَتي
فأغتالُ أوثاني .. وأبكي .. وأكفُرُ

وأذبحُ أهلَ الكهف فوق فراشِهِـمْ
جميعاً ، ومن بَوَّابة المـوت أعْبُـرُ

وأتْرُكُ خلفي ناقتي وعبــاءتـــي
وأمْشي .. أنا في رَقْبَة الشمس خِنْجَرُ

وأَصْرَخُ : يا أرض الخرافاتِ .. إحْبَلي
لعلَّ مسيحاً ثانياً .. سوفَ يَظْهَرُ ..

إفادةٌ في محكمة الشِعْر

ألقيت في مهرجان الشعر التاسع
ببغداد في نيسان (ابريل) عام ١٩٦٩

مَرْحَباً يا عِرَاقُ .. جئتُ أُغنِّيكَ
وبَعْضٌ من الغناءِ بُكَاءُ

مَرْحَباً .. مَرْحَباً .. أتعرفُ وجهاً
حَفَرَتْهُ الأيَّامُ والأنواءُ

أَكَلَ الحُبُّ من حُشَاشة قلبي
والبقايا ، تقاسَمَتْها النساءُ

كُلُّ أحبابيَ القُدَامَى نَسَوْني
لا نُوارُ تُجيبُ أو عَفْراءُ

فالشفاهُ المُطَيَّباتُ رَمَادٌ
وخيامُ الهوى رماها الهَواءُ

سَكَنَ الحُزْنُ كالعصافير قلبي
فالأسى خَمْرَةٌ، وقلبي الإناءُ

أنا جُرْحٌ يمشي على قَدَمَيهِ
وخُيُولي قد هدَّها الإعياءُ

فجراحُ الحُسَيْن، بعضُ جراحي
وبصدري من الأسى، كَرْبَلاءُ ...

وأنا الحُزْنُ من زمانٍ صديقي
وقليلٌ في عصرنا الأصدقاءُ

* * *

مَرْحَباً يا عِراقُ .. كيف العَبَاءَاتُ ،
وكيفَ المَهَا ، وكيف الظِباءُ ؟

مَرْحَبَاً يا عِراقُ .. هل نَسِيَتْنِي
بعد طول السنين سامُرَّاءُ ؟

كيف أحبابُنا على ضفَّة النَهْرِ
وكيف البساطُ والنُدَمَاءُ ؟

كان عندي هُنا .. أميرةُ حُبٍّ
ثُمَّ ضاعَتْ أميرتي الحَسْنَاءُ

أين وجهٌ في (الأعْظَمِيَّةِ) حُلْوٌ
لو رأتْهُ ، تَغارُ منه السَمَاءُ

إنّني السندبادُ ، مَزَّقَهُ البَحْرُ
وعَيْنَا حبيبتي الميناءُ

مَضَغَ الموجُ مَرْكَبي ، وجَبيني
ثَقَبَتْهُ العواصفُ الهَوْجاءُ

إنَّ في داخلي عُصُوراً من الحُزْنِ
فهل لي إلى العراق التجاءُ ؟..

وأنا العاشقُ الكبيرُ ... ولكنْ
ليس تكفي دفاتِري الزَرْقاءُ

* * *

يا حُزَيْرَانُ .. ما الذي فَعَلَ الشِعْرُ
ومـاذا أعطى لنا الشُعَـــراءُ ؟

الـدواويـــنُ في يدينا طُـــرُوحُ
والتعابيرُ كُـلُّهـــا إنشـــاءُ

كُلَّ عامٍ نأتي لسُـوقِ عُكَــاظٍ
وعلينـــا العمائـــمُ الخَضْـراءُ

ونهـــزُّ الرؤوسَ مثـل الدراويشِ
وبالنـــار تكتـــوي سينـــاءُ ..

كُلَّ عامٍ نأتي .. فهذا جـــريـــرٌ
يَتَغَنَّـــى ، وهـــذه الخَنْسَـــاءُ

لم نَـزَلْ .. لم نَـزَلْ نُـمَصْمِصُ قِشْراً
وفلسطينُ خَـضَّـبَـتْهـا الدمـــاءُ

سَقَـطَتْ في الوحول كلُّ الفَـصَاحاتِ
وماتَ الخليـلُ و الفَـــرَّاءُ ..

يا حُزَيْرانُ .. أنتَ أكبرُ منَّـــا
وأبٌ أنتَ مالـــه أبْنَـــاءُ

لو مَلَكْنَا بقيـةً من إبـــاءٍ
لا نتخيْـنَا .. لكنّنا جُبَنَـــاءُ

* * *

يا عُصُـورَ المُعلـقَّـاتِ مَـلَلْنـــا
ومن الجسم قد يَـمَــلُّ الــرِداءُ

نِصْفُ أشعارنا نُـقُـوشٌ .. ومـاذا
يَـنْفَعُ النَـقْشُ حين يهوي البِـنَاءُ ؟

المقاماتُ لُعْبَـةٌ ... والحــريــريُّ
حشيشٌ .. والغُـولُ .. والعَنْـقَـاءُ

ذَبَحَتْنَا الفُسَيْفُسَـاءُ عُصُـــوراً
والـدُمَى .. والزخارفُ البَلْهَــاءُ

نرفُضُ الشعرَ كيمياءً وسِحْــراً
قَتَلَتْنَا القصيــدةُ الكيميَـــاءُ

نرفضُ الشعرَ مسرحـاً مَلَـكيّـاً
من كراسيـهِ ، يُحْرَمُ البُسَطَـاءُ

نرفُضُ الشِعْرَ أن يكونَ حصانـــاً
يمتطيـــه الطُغَـــاةُ والأقويـــــاءُ

نرفُضُ الشِعْرَ عُتْمـةً ورُمُـــوزاً
كيف تَسْطيـعُ أن ترى الظَلْمـاءُ ؟

نرفضُ الشعرَ أرْنَبـاً خَشَبيَّـــــاً
لا طموحُ لـهُ ولا أهـــــواءُ

نرفضُ العاطلينَ في قَهْـــوَةِ الشِعْرِ ..
دُخَانٌ أيَّامُهُـمْ ، وارتخـــــاءُ

شِعْرُنا اليوم يحفـرُ الشمسَ حَفْـراً
بيَـدَيْــهِ .. فكُـلُّ شيءٍ مُضَـــاءُ

شِعْرُنا اليومَ هَجْمةٌ واكتِشَافٌ
لا خطوطٌ كوفيَّةٌ .. وحِداءُ ..

كلُّ شِعْرٍ معاصرٍ .. ليس فيهِ
غَضَبُ العصر ، نَمْلَةٌ عَرْجَاءُ

ما هو الشِعْرُ ؟ إنْ غدا بَهْلَوَاناً
يَتَسَلَّى برقْصِهِ الخُلَفَاءُ

ما هو الشِعْرُ؟ حينَ يصبحُ فأْراً
كِسْرةُ الخُبْزِ .. همُّهُ .. والغِذَاءُ

وإذا أصبَحَ المُفكِّرُ بُوقَاً
يستوي الفِكْرُ عندها والحِذَاءُ ...

يُصْلَبُ الأنبياءُ من أجل رأيٍ
فلماذا لا يُصْلَبُ الشُعَراءُ ؟

* * *

الفدائيُّ وحَدَهُ .. يكتُبُ الشِعْرَ
وكُلُّ الذي كَتَبْنَا هُراءُ ..

إنَّهُ الكاتبُ الحقيقيُّ للعصرِ
ونحنُ الحُجَّابُ والأُجَراءُ

عندما تبدأُ البنادقُ بالعَزْفِ
تموتُ القصائدُ العَصْمَاءُ ..

* * *

ما لَنَا .. ما لَنَا .. نلومُ حُزَيْرَانَ
وفي الإثْم كلُّنا شُرَكَاءُ

مَنْ هُمُ الأبْرياءُ ؟؟ نحنُ جميعَـاً
حامِلُـو عارِهِ .. ولا استثنـــاءُ

عقْلُنا .. فِكْرُنا .. هُزَالُ أغانينا ..
رُؤَانا .. أقوالُنا الجَـوْفَـــاءُ

نَـثْرُنا .. شِعْرُنا .. جرائدُنا الصفراءُ ..
والحِبْرُ .. والحروفُ الإمَـــاءُ

البُطُولاتُ مـوقفٌ مَـسْرحـــيٌّ
ووجـــوهُ المُمَثّلينَ طِـــلاءُ

وفلسطينُ بينهُــــمْ كَمَـــــزَادٍ
كـــلُّ شارٍ يزيـدُ حينَ يَشَـــاءُ

وَحْدَوِيُّــونَ !! والبــلادُ شَظَايــا
كــلُّ جزءٍ من لحمهـــا أَجـزاءُ

ماركِسِيُّونَ !! والجماهيرُ تَشْقَى
فلمـــاذا لا يشبَـــعُ الفُـقَــراءُ

قُرَشِيُّونَ !! لـو رأَتْـهُـمْ قُـرَيْشٌ
لاستجـــارتْ مـن رملِهـا البَيْدَاءُ

لا يَـمينٌ يُجـيرُنا أو يســـارٌ
تحتَ حَدِّ السِكّين نحنُ سَـــوَاءُ

لو قرأنـــا التاريخَ .. ما ضاعتِ القُدْسُ
وضاعـــتْ من قبلهـــا (الحَمْراءُ)...

* * *

يا فلسطينُ .. لا تزالــينَ عَطْـشَى
وعــلى النفْـطِ نامــتِ الصَحْـراءُ

العبــاءاتُ كلُّهـــا من حريــــرٍ ..
والليـــالي رخيصــــــةٌ حمـــراءُ ..

يا فلسطينُ .. لا تُنَادي عليهـــمْ
قد تساوى الأمواتُ والأحيـــــاءُ

قَتَلَ النفْـطُ ما بهمْ من سجايــا
ولقــد يقْتُلُ الثريَّ الثَـــــــرَاءُ

يا فلسطـــينُ .. لا تُنَـــادي قُرَيْشاً
فقريْشٌ ماتــتْ بهــا الخُيَـــلاءُ

لا تُنادي الرجالَ من عَبْدِ شَمْسٍ
لا تُنادي .. لم يَبْقَ إلا النِسَاءُ ..

ذَرْوَةُ الذُلِّ أن تموتَ المُرُوءاتُ
ويَمْشي إلى الوراء الوراءُ ...

* * *

مرَّ عامان .. والغُزَاةُ مُقيمونَ
وتاريخُ أُمَّتي أشْلاءُ

مرَّ عامانِ .. والمسيحُ أسيرٌ
في يديْهِمْ .. ومَرْيَمُ العذراءُ ..

مرَّ عامان .. والمآذِنُ تَبْكي
والنواقيسُ كلُّها خَرْساءُ

أيُّهـــا الراكِعُونَ في معبد الحَرْفِ
كفـــانا الدُوارُ والإغْمـــــــــاءُ

مَزِّقُـــوا جُبَّـــةَ الدراويش عنكُـمْ
واخلعُوا الصُوفَ أيُّها الأتقيـــــاءُ

أُتركُــــوا أولياءَنـــا .. بســــلامٍ
أيُّ أرضٍ أعادها الأوليـــــاءُ ؟

* * *

في فَمِي ، يا عِـراقُ ، مـــاءٌ كثيرٌ
كيف يشكو من كانَ في فِيهِ ماءُ ؟

زَعَـمُوا أنّني طعنـتُ بــــــــــلادي
وأنا الحــبُّ كلُّــهُ والوفــــــــاءُ

أَيُـريدونَ أن أَمُـصَّ نَـزِيفي ؟
لا جـدارٌ أنا .. ولا بَبَـغَـاءُ

أنا حُـريّتي .. فإنْ سَرَقُـوهـا
تسقُـطِ الأرضُ كلُّـهـا ، والسَمَاءُ

ما احترفتُ النفاقَ يوماً .. وشِعْـري
ما اشـتراهُ الملـوكُ والأُمَـرَاءُ

كلُّ حرفٍ كتبتُـهُ .. كان سيفـاً
عَـرَبِيَّـاً ، يشِعُّ منـه الضيـاءُ

وقليـلٌ مـن الكلام نَـقِـيٌّ
وكثيرٌ من الكلام بَـغَـاءُ ...

* * *

كم أُعاني مما كَتَبْتُ عَذاباً
ويُعاني في شرقنا الشُرَفاءُ

وَجَعُ الحرف رائعٌ .. أَوَتشكُو
للبساتينِ ، وردةٌ حمراءُ

كلُّ من قاتَلُوا بحرفٍ شُجَاعٍ
ثمَّ ماتوا .. فإنَّهُمْ شُهَدَاءُ

لا تُعاقِبْ ، يا ربِّ ، من رَجَمُوني
واعفُ عنهُمْ ، لأنَّهُمْ جُهَلاءُ

إن حُبّي للارض حبٌّ بصيرٌ
وهواهُمْ عواطفٌ عَمْيَاءُ

إنْ أكُنْ قد كَوَيْتُ لَحْمَ بلادي
فمن الكيِّ .. قد يجيءُ الشفاءُ

* * *

مِنْ بحار الأسى ، ولَيْلِ اليَتَامىٰ
تطلعُ الآنَ ، زهْرَةٌ بَيْضَاءُ

من شُحوب الخريفِ ، من وَجَعِ الأرضِ
تلوحُ السنابلُ الخَضْراءُ

ويُطِلُّ الفداءُ شمساً علينا
ما عسانا نكونُ لولا الفِدَاءُ

مِنْ جراح المناضلين وُلِدْنَا
ومن الجُرْح تُولَدُ الكبرياءُ

قَبْلَهُمْ ؟ لم يكُنْ هنالكَ قَبْلُ
إبتداءُ التاريخ منْ يَوم جاؤوا ...

ىبطوا فوق أرضنا أَنْبِيَاءً
بعد أن مات عندنا الأنبِياءُ

أنْقَذُوا ماءَ وجهنا يومَ لاحُوا
فأضاءتْ وجوهُنا السوداءُ

منحُونا إلى الحياة جوازاً
لم تكُنْ قَبْلَهُمْ لنا أسْمَاءُ

* * *

أصدقاءَ الحروف .. لا تعذلوني
إنْ تفجَّرتُ ، أيُّها الأصدقاءُ

إنّي أخـزِنُ الرُعُـودَ بصـــــدري
مثلما يخـزنُ الرُعُـــودَ الشِتَـــاءُ

أنا ما جئتُ كي أكونَ خطيبــاً
فبــلادي أضاعَهَــــا الخُـطَـبَـاءُ

إنني رافضٌ زماني ، وعَصْـــــري
ومن الرفضِ ، تُـولَـدُ الأشيـــاءُ

أَصدقائي : حكَيْــتُ ما ليس يُحْكى
وشفيعـي طفولـــتي .. والنَـقَـــاءُ ..

إنّي قـادمٌ إليكُــــمْ .. وقــلبي
فـوق كـفّـي حمـــامةٌ بيضـــــاءُ

إفْهموني .. فما أنا غـيرُ طفـــلٍ
فوق عَيْنَيْـهِ يسْـتَحِـمُّ المَسَـــاءُ

أنا لا أعرفُ ازدواجيّةَ الفِـــكْـرِ
فنَـفْـسي بُـحَيْـرةٌ زَرْقَـــاءُ ..

لبلادي شِعْري .. ولستُ أبالـــي
رَفَـضَـتْـهُ ، أم بارَكَـتْـهُ السَـمَاءُ ..

مِنْ مُفكّرة عاشقٍ دمشقيّ

ألقيت في مهرجان الشعر بدمشق
في كانون الأول (ديسمبر) ١٩٧١ .

فَرَشْتُ فوق ثَرَاكِ الطاهرِ الهُـدُبَـا
فيا دمَشْقُ ، لمـاذا نبـدأُ العَتَـبَـا ؟

حبيبتي أنتِ .. فاسْتَلْقي كأُغْنِيَـةٍ
على ذراعي ، ولا تَسْتَوْضِحي السَبَبَا

أنتِ النساءُ جميعاً .. ما مِنِ امـرأةٍ
أحْبَبْتُ بَعْدَكِ ، إلّا خِلْتُها كَذِبَا

يا شامُ .. إنَّ جراحي لا ضِفافَ لها
فَمَسِّحي عن جبيني الحُزْنَ والتَعَبا

وأرْجِعيني إلى أســـوار مدرســـتي
وأرجِعي الحِبْرَ .. والطبْشُورَ .. والكُتُبَا

تلكَ الزواريبُ كم كَنْزٍ طَمَرْتُ بها
وكم تركتُ عليها ذكريـــاتِ صِبَا

وكم رَسَمْتُ عــلى حيطانِـها صُوَرَاً
وكم كَسَرْتُ على أدراجِها لُعَبَا

أتَيْتُ من رَحِمِ الأحزانِ ، يا وَطَني
أُقَبِّلُ الأرضَ ، والأبوابَ ، والشُهُبَا

حُبِّي هُنا .. وحبيباتي وُلِدْنَ هُنا
فَمَنْ يعيدُ ليَ العُمْرَ الذي ذَهَبا

أنا قبيلةُ عُشَّاق بكامِلِها
ومن دُمُوعي سَقَيْتُ البحرَ والسُحُبا

فكُلُّ صَفصَافَةٍ حوَّلتُها امرأةً
وكُلُّ مِئْذَنَةٍ رصَّعْتُها ذَهَبا ..

هذي البساتينُ كانَتْ بين أمتعتي
لمّا ارتحلتُ عن الفَيْحَاءِ ، مُغْتَرِبَا

فلا قميصَ من القمصانِ ألبسُهُ
إلا وجدتُ على خيطانه عِنَبا

كم مُبْحِرٍ ، وهُمُومُ البَرِّ تسكُنُهُ
وهاربٍ من قضاء الحُبِّ ، ما هَرَبا

* * *

يا شامُ .. أينَ هُمَا عينا مُعَاويةٍ
وأينَ من زَحَمُوا بالمنكب الشُهُبَا

فلا خيولُ بني حمدانَ راقِصَةٌ
زَهْواً ، ولا المتنّبي ماليءٌ حَلَبَا

وقَبْرُ خالدَ في حِمْصٍ ، نلامِسُهُ
فيرجفُ القبرُ من زُوَّاره غَضَبَا

يا رُبَّ حيٍّ ، رخامُ القبر مسكنُهُ
ورُبَّ مَيْتٍ على أقدامه انْتَصَبَا

يا ابنَ الوليدِ .. ألا سَيْفٌ تُؤَجِّرُه
فكُلُّ أسْيَافِنا قد أصبحتْ خَشَبا !!.

* * *

دمشْقُ .. يا كَنْزَ أحلامي ، ومَرْوَحَتي
أشكُو العروبةَ ، أم أشكو لكِ العَرَبَا

أدْمَتْ سياطُ حزيران ظُهُورَهُم
فأدْمَنُوها ، وباسُوا كَفَّ من ضَرَبَا

وطالَعُوا كُتُبَ التاريخِ .. واقْتَنَعُوا
متى البنادقُ كانت تسكُنُ الكُتُبَا ؟

سَقَوْا فلسطين أحلاماً ملوَّنةً
وأطْعَمُوها سخيفَ القَوْل ، والخُطَبَا

عاشُوا على هامشِ الأَحْدَاثِ، ما انْتَفَضُوا
للأرض منْهُوبَةً ، والعِرْضِ مُغْتَصَبَا

وخلَّفُوا القُدْسَ فوق الوحل ، عارية
تُبيحُ عــزَّةَ نهديْهـــا لمــن رَغِبَا

هل من فلسطينَ مكتــوبٌ يُطَمئِنُني
عمَّنْ كتبتُ إليهِ، وهْوَ ما كَتَبَا

وعن بساتين ليمونٍ ، وعن حُلُــمٍ
يزدادُ عنّي ابتعــاداً كُلَّمــا اقتربا

أيا فلسطينُ .. مَنْ يُهديكِ زَنْبَقةً
ومَنْ يُعيدُ لكِ البيتَ الذي خُــرِبَا

تَلَفَّتي .. تَجدِينـا في مباذِلِنـا
من يَعْبُدُ الجِنْسَ ، أو مَنْ يعبُدُ الذَهَبَا

فَوَاحِدٌ .. أعْمَتِ النُعْمَى بصيرتَهُ
فللخَنَى .. والغواني .. كلُّ ما وَهَبا ..

وواحِدٌ .. ببحار النفْطِ مُغْتَسِلٌ
قد ضاقَ بالخَيْش ثوباً ، فارتدى القَصَبا

وواحدٌ .. نَرْجِسِيٌّ في سريرتِهِ
وواحدٌ .. من دَمِ الأحرار قد شَرِبا

إنْ كانَ من ذَبَحُوا التاريخَ .. هُمْ نَسَبي
على العُصُور ، فإنّي أرفُضُ النَسَبا ..

* * *

يا شامُ .. يا شامُ .. ما في جُعْبَتي طَرَبُ
أسْتغْفِرُ الشِعْرَ أن يَسْتَجْديَ الطَرَبَا

ماذا سأقرأُ من شعري ومن أَدَبي
حوافرُ الخيل دَاسَتْ عندنا الأدَبَا

وحَاصَرَتْنا ، وآذَتْنا ، فلا قَلَمٌ
قالَ الحقيقةَ ، إلّا اغتيلَ أو صُلِبَا

* * *

يا مَنْ يُعَاتِبُ مَذْبُوحاً .. على دمِهِ
ونَزْف شِرْيانِهِ ، ما أسْهَلَ العَتَبَا

مَنْ جَرَّبَ الكيَّ ، لا يَنْسَى مواجِعَهُ
ومَنْ رأى السُمَّ ، لا يَشْقَى كمَنْ شرِبَا

حَبْلُ الفجيعة مُلْتَفٌّ على عُنُـقي
مَنْ ذا يُعاتِـبُ مشنوقاً إذا اضطرَبا

الشِعْرُ ليس حَمَامَـاتٍ نُطَيِّرُهـا
نحو السماء ، ولا نايـاً وريحَ صَبَا

لكنَّهُ غَضَبٌ طالـتْ أظافِـرُهُ
ما أجْبَنَ الشعرَ ، إنْ لم يَرْكبِ الغَضَبَا ..

ترصيعٌ بالذهب
على سيفٍ دمشقيّ

أَتَراها تُحِبُّني مَيْسُونُ ؟
أم تَوَهَّمتُ .. والنساءُ ظُنُونُ

كَمْ رَسُولٍ أرسلتُهُ لأَبيها
ذَبَحَتْهُ تحتَ النِقَابِ العُيُونُ

يا ابنةَ العَمِّ ، والهوى أَمَويٌّ
كيف أُخفي الهوى ، وكيف أُبِينُ

كـــم قُتِلْـنا في عشقِنـــا .. وبُعِثْنَـا
بعد مَـوْتٍ ، وما علينا يميـــنُ

ما وُقُوفي على الديــار ، وقــلبي
كجبيــني ، قد طرَّزَتْـهُ الغُضُــونُ

لا ظِباءُ الحِمَى رَدَدْنَ ســـلامي
والخلاخيـــلُ ، مالهُــنَّ رنيـــنُ

يا زماناً في الصالحيَّـــة سَمْحَـاً
أين منّي الغِــوَى ، وأينَ الفُــتُونُ

يا سريري .. ويا شراشِـــفَ أُمّي
يا عصافـيرُ .. يا شذا .. يا غُصُونُ

يا زواريبَ حَارَتي .. خَبِّئيني
بين جفنيْكِ ، فالزَمانُ ضنينُ

واعذُريني ، إذا بدوتُ حزيناً
إنَّ وجهَ المُحبِّ ، وجْهٌ حزينُ

* * *

ها هي الشامُ ، بعد فرْقَة دهرٍ
أنْهُرٌ سبعةٌ .. وحُورٌ عِينُ

النوافيرُ في البُيُوت كَلَامٌ
والعناقيدُ سُكَّرٌ مطحونُ

والسماءُ الزَرْقَاءُ دفترُ شِعْرٍ
والحروفُ التي عليه .. سُنُونُو

هل دمشقُ ـ كما يقولونَ ـ كانتْ
حين في الليل ، فَـكَّـرَ الياسمينُ ؟

آهِ يا شامُ ـ كيفَ أشْرَحُ مـــا بي
وأنا فيــكِ دائمـــاً مَسْـــــكُونُ

سامحيني ، إنْ لم أُكاشِفْــكِ بالعشقِ ،
فأحلى ما في الهـــوى التضْمِيــنُ

نحنُ أسْرَى معــاً .. وفي قَفَص الحُبِّ
يُعـــاني السجَّـــــانُ والمَسْجُــونُ

* * *

يا دمشقُ ، التي تقمَّصْتُ فيهـــا
هل أنا السَرْوُ ، أم أنا الشَّرْبِـينُ ؟

أم أنا الفُلُّ في أباريق أُمِّـــــي
أم أنا العُشْبُ ، والسَحَابُ الهَتُونُ ؟

أم أنا القِطَّـةُ الأثيرةُ في الـــدارِ
تُلَبِّي ، إذا دعاها الحنـــينُ ؟

يا دمشقُ التي تَفَشَّى شذاهـــا
تحت جِلْـدي ، كأنَّهُ الزيْزَفُونُ

سامحيــني إذا اضطربتُ .. فإنّي
لا مُقَفَّى حُبّي .. ولا مَوْزُونُ

وازْرَعيني تحت الضفائــر مِشْطَاً
فأُريــكِ الغَـرَامَ كيفَ يكُـــونُ ..

* * *

قادِمٌ من مدائن الريح وحــــــدي
فاحْتَضِنّي كالطفل يا قاسِيُـــــونُ

إحْتَضِنّي .. ولا تُناقش جُنونــي
ذروةُ العقـــل ، يا حبيبي ، الجُنُونُ

إحْتَضِنّي خمسين ألفـــاً وألفـــاً
فمع الضَــمِّ لا يجــوزُ السُكُونُ ..

أَهْيَ مجنونَـــةٌ بشوقي إليهـــــا
هذه الشامُ ، أم أنا المجنــــونُ

حاملٌ حُبَّهـا ثـلاثينَ قَـرْنـــاً
فوقَ ظهري ، وما هناكَ مُعيـــنُ

كُلَّما جئتُهـا أردُّ دُيُـونـي
للجميلاتِ .. حاصَرَتْـني الدُيُون

إنْ تَخلَّـتْ كلُّ المقادير عـنِّي
فبِعَيْنَيْ حبيبتي أَسْتَعِـين

يا إلهي ، جعلتَ عِشْقيَ بحـراً
أَحَرَامٌ عـلى البحـار السُكُونُ ؟

يا إلهي ، هـل الكتابـةُ جُرْحٌ
ليسَ يُشْفَى ، أم ماردٌ ملعـونُ ؟

كم أُعاني في الشعر موتـاً جميلاً
وتُعـاني من الرياح السَفِـينُ

* * *

جاءَ تشريــنُ .. يا حبيبــةَ عُمْري
أحْسَـنُ الوقت للهــوى تِشْريــنُ

ولنا موعدٌ على (جَبَــل الشَيْـخِ)
كم الثلجُ دافــيءٌ وحَـنُــونُ

لم أعانِقْـكِ من زمــانٍ طويـلٍ
لم أُحَدِّثْـكِ ، والحديثُ شُجُونُ

لم أُغَازِلْـكِ .. والتَغَزُّلُ بعضــي
للهــوى دينُــهُ ، وللسيف دِيــنُ

سَنَواتٌ سَبْـعٌ من الحُزْنِ مــرَّتْ
ماتَ فيها الصَفْصَــافُ والزيتُــونُ

سَنَواتٌ فيها اسْتَقَلْتُ من الحُبِّ
وجَفَّتْ على شفاهي اللُحُــــونُ

سَنَواتٌ سَبْعٌ .. بها اغتالَنَا اليأْسُ
وعِلْــمُ الكلام .. واليانَسُــونُ ..

فانقسمنا قبائــلاً وشُعُـــوباً
واسْتُبِيحَ الحِمَـى ، وضاعَ العرينُ

كيفَ أهواكِ ، حينَ حولَ سريري
يتمشَّى اليهودُ والطــاعــونُ

كيفَ أهواكِ ؟ والحِمَـى مُسْتَبَاحٌ
هل من السَهْل أنْ يُحِبَّ السجينُ ؟

لا تَقُولي : نسيتَ . لم أنْسَ شيئاً
كيف تنسى أهْدَابَهُنَّ الجُفُونُ ؟

غير أنَّ الهوى يصيرُ ذليلاً
كُلمَّا ذلَّ للرجال جبينُ

* * *

شامُ .. يا شامُ .. يا أميرةَ حُبِّي
كيف ينسى غرامَهُ المَجْنُونُ ؟

أَوْقِدي النارَ .. فالحديثُ طويلٌ
وطويلٌ لَمَنْ نُحِبُّ الحنينُ

شمسُ غَرْنَاطةٍ أطلَّتْ علينا
بعد يأسٍ ، وزغردتْ (مَيْسَلُونُ)

جاءَ تِشْرينُ .. إنَّ وجْهَكِ أحْلَى
بكثيرٍ .. ما سِرُّهُ تِشْريـــــــنُ ؟

كيفَ صارتْ سنابلُ القمح أعْلَى ؟
كيفَ صارتْ عيناكِ بَيْتَ السُنُونو ؟

إنَّ أرضَ الجولان تُشْبهُ عينيْـكِ
فماءٌ يجري ، ولــــوزٌ ، وتِـينُ ..

كُلُّ جُرْحٍ فيها حديقـــــةُ ورِدٍ
وربيـــعٌ .. ولُؤْلُـؤٌ مَـكْـنُــونُ

يا دمشــقُ الْبِـسي دمُـــوعي سِوَاراً
وتَمنَّـــيْ ، فكُـلُّ صعبٍ يهـــونُ

وضَعي طَرْحةَ العروس .. لأَجْلي
إنَّ مَهْرَ المُنَاضلاتِ ثميـــــن

رضيَ اللهُ والرَسُـــولُ عن الشـامِ
فَنَصْـرٌ آتٍ .. وفَتْــحٌ مُبِــينُ ..

* * *

مَـزِّقي يا دمشـــقُ خارطَـــةَ الـذُلِّ
وقولي للدهرِ : كُـنْ .. فيكــونُ

إستردَّتْ أيّـامَهـا بـكِ بَــــدْرُ
واستعادتْ شبابَهـــــا حِطّــينُ

بكِ عــزَّتْ قريشُ بعــد هَــوَانٍ
وتلاقــتْ قبائــلٌ وبُطُــــــونُ ..

إنَّ عَمْرَو بنَ العاصِ يزحفُ للشرقِ
وللغَـرْب يـزحـفُ المأمُـــــونُ

كَتَبَ اللهُ أن تكُـــوني دمشقــاً
بكِ يَبْـدَا وينتهـي التكـويـــنُ

لا خِيَارُ أن يُصْبحَ البَحْـرُ بَحْـراً
أَوَ يَـخْتَارُ صوتَـهُ الحَسُّـــونُ ؟

ذاكَ عُـمْرُ السيوف .. لا سيفَ إلّا
دائِـنٌ يا حبيبتي أو مَـــــدِينُ

هُـزِمَ الرومُ بعد سَبْعٍ عِـجَـــافٍ
وتعافَى وُجْـدَانُنـــا المطعُـــونُ

وقَتَلنا العَـنْقَـاءَ في (جَبَلِ الشَـيْخِ)
وألقى أضراسَـــــــهُ التِنِّـــــــينُ

صَدَق السيفُ وَعْـدَهُ يا بــــــلادي
فالسياســـــاتُ كُلُّهـــــا أَفْيُــونُ

صَدَق السيفُ حاكماً وحكيمـــــاً
وحْـدَهُ السيفُ ، يا دمشْـــقُ ، اليقينُ

* * *

إسْحَـبي الذِّيْـلَ ، يا قنيطــرةَ المجد
وكَحِّـلْ جفنيْـكَ يا حَـــرَمُـونُ

سَبَقَـتْ ظِلَّهـــا خيولُ هشـــام
وأَفاقتْ من نومها السِكّـــــينُ

عَلِّمينا فِقْهَ العروبة يا شامُ
فأنتِ البيانُ والتَبْيِينُ

عَلِّمينا الأفعالَ .. قد ذَبَحتْنا
أحْرُفُ الجَرِّ .. والكلامُ العَجِينُ

عَلِّمينا قراءةَ البَرْقِ والرَعْدِ
فنِصْفُ اللُّغَاتِ وحْلٌ وطينُ

عَلِّمينا التفكيرَ .. لا نَصْرَ يُرْجَى
حينما الشعبُ كُلُّه سَرْدِينُ

إنَّ أقصى ما يُغْضِبُ اللهَ
فِكْرٌ دَجَّنُوهُ .. وكاتِبٌ عِنِّينُ

وَطَني .. يا قصيدةَ النار والـوَرْدِ
تَغَنَّتْ بما صنعتَ القُرُونُ

إنَّ نَهْرَ التاريخ ينبُعُ في الشام
أَيُلْغي التاريخَ طِرْحٌ هَجينُ

نحنُ عَكَّا .. ونحنُ كَرْمِلُ حيفا ..
وجبالُ الجليل .. واللَّطْرُونُ

كلُّ لَيْمُونةٍ ستنجبُ طِفْلاً
ومُحَالٌ أن ينتهي الليمونُ ..

* * *

شامُ .. يا شامُ .. غيِّري قَدَر الشمسِ ..
وقولي للدهرِ : كُنْ .. فيكُونُ ..

ملاحظات
في زمن الحب والحرب

١

أَلاحَظْتِ شيئاً ؟
أَلاحَظْتِ أن العلاقةَ بيني وبينكِ ، في زمن الحربِ
تأخُذُ شكلاً جديدا ..
وتدخُلُ طوراً جديدا ..
وأنَّكِ أصبحتِ أجملَ من أيِّ يومٍ مضى ..
وأنّي أُحِبُّكِ أكثرَ من أي يومٍ مضى ..
أَلاحَظْتِ كيف اخترقْنَا جدارَ الزَمَنْ ؟
وصارت مَسَاحةُ عينيْكِ ..
مثلَ مَسَاحةِ هذا الوطَنْ ..

٢

أَلاحَظْتِ هذا التَحوُّلَ في لونِ عينيْكِ ؟
حين استمعنا معاً لبيانِ العُبُورْ ..
ألاحَظْتِ .. كيف احْتَضَنْتُكِ مثل المجانينِ ..
كيف عَصَرْتُكِ مثل المجانينِ ..
كيفَ رفَعْتُكِ .. ثم رميتُكِ ..
ثمّ رفعتُكِ .. ثم رميتُكِ ..
فاليومَ عُرْسٌ .. وتِشْرينُ سَيِّدُ كُلِّ الشهورْ
ألاحَظْتِ .. كيفَ تجاوزتُ كُلَّ ضفافي ؟
وكيف غمرتُكِ مثل مياه النُهُورْ

ألاحَظْتِ.. كيفَ اندفعتُ إليكِ ..
كأنّي أراكِ لأَوَّلِ مرَّةْ
ألاحظْتِ كيف انسجَمْنا..
وكيف لَهَثْنَا..
وكيفَ عَرِقْنا...
وكيف استحلنا رماداً..
وكيفَ بُعِثْنَا ..
كأنَّا نُمارسُ فِعْلَ الغرامِ
لأَوَّل مرَّةْ...

٣

أَلّاحظْتِ ..

كيف تحرَّرتُ من عُقْدَةَ الذَنْبِ

كيف أعادتْ ليَ الحربُ كلَّ ملامحي وجهي القديمَهْ

أُحِبُّكِ في زَمَن النَصْرِ ..

إنَّ الهوى لا يعيشُ طويلاً

بظِلِّ الهزيمَهْ ..

٤

هل الحربُ تُنْقِذُنا بعد طول الضَيَاعْ ؟
وتُضْرِمُ أشواقَنا الغافيَهْ
فتجعلَني بَدَويَّ الطِبَاعْ
وتجعلَكِ امرأةً ثانيَهْ ..

٥

أَلَاحَظْتِ كيف اكْتَشَفْنا طفولَتنا
بعد ستٍّ سِنينْ ؟
وكيفَ رجعنا أخيراً لمملكة العِشْقِ والعاشِقِينْ
أأحسَسْتِ مثلي .. بأنَّ رجالَ المظَلَّات كانوا
يحطُّونَ مثلَ الحَمَام على راحَتَيْنا
وأنَّ جُنودَ المغاوير كانوا يمّرونَ فوق عُرُوق يَدَيْنا ..
ألاحظْتِ كيف نثرنا عليهمْ
عُقُودَ البَنَفْسَجِ والياسمينْ ؟

وكيف ركضنا إليهمْ
وكيف انْحَنَيْنا ..
أمامَ بنادقهمْ خاشِعِينْ
أَلاحَظْتِ كيفَ ضحِكْنا ؟
وكيفَ بكَيْنَا ؟
وكيفَ عَبَرْنا الجسورَ مع العابرينْ ..

٦

تَرَكْتُ عُصورَ انحطاطي وَرَائي ..
تركتُ عصورَ الجَفَافْ
وجِئتُ على فَرَسِ الريح والكبرياءِ
لكي أَشتري لكِ ثوبَ الزَفَافْ ..

٧

تصيرينَ في زَمَن الحربِ
مصقولةً كالمرايا ..
ومَسْحُوبةً كالزُّرافَهْ
وبين يَدَيْنا تذوبُ الحدودُ
وتُلْغَى المسافَهْ

٨

قرأتُ خرائطَ جسْمِكِ في كُتُبي المَدْرَسِيَّهْ
ولا زلتُ أحفظُ أَسماءَ كُلِّ النُهورْ
وأَشْكَالَ كُلِّ الصُخُورْ
وعاداتِ كُلِّ البَوَادي
ولا زلتُ أحفظُ أعمارَ كُلِّ الجِيَادِ
فكيف أُفَرِّقُ ..
بين حرارة جسمِكِ أنتِ ..
وبين حرارة أرض بلادي ؟؟

٩

وَجَدْنا أخيراً .. حُدُودَ فَمَيْنَا
عَثَرْنا على لُغَةٍ للحوارْ
وكان حزيرانُ يجلسُ فوقَ يديْنَا
ويَحْبِسُنَا في كهوف الغُبَارْ
وكنتُ أُحِبُّكِ ..
لكنَّ ليلَ الهزيمةِ صادرَ منيِّ النَهَارْ
وكنتُ أريدُ الوصولَ إليكِ ..
ولكنَّهُمْ أنزلوني قُبَيْلَ رحيل القطارْ

وكنتُ أُفكِّرُ فيكِ كثيرا
وأَحلُمُ فيكِ كثيرا ..
وكنتُ أُهَرِّبُ شِعْري إليكِ
برَغْم الحِصَارْ
ولكنَّهُمْ أعْدَمُوني مراراً
وأَرخُوا عليَّ السِتَارْ
ولكنْ برغم تعدُّد مَوْتي
بقيتُ أُحِبُّكِ .. يا زهْرَةَ الجُلَّنَارْ

١٠

أُحِبُّكِ أنتِ ..
وأَكْتُبُ حُبِّي على وجه كلِّ غَمَامَهْ
وأُعْطي مكاتيبَ عِشْقي
لِكُلِّ يمَامَهْ
أُحِبُّكِ في زمن العُنْفِ ..
مَنْ قال إنّي أُريدُ السَلامَهْ
أُحِبُّكِ .. يا امرأةً من بلادي
وأَنْوي ، على شَفَتيْكِ ، الإقامَهْ

١١

أَلَاحَظْتِ .. كم تُشْبِهينَ دمشقَ الجميلَهْ ؟
وكم تُشْبِهينَ المآذنَ .. والجامع الأمَويَّ .. ورقْصَ السَمَاحْ ..
وخَاتمَ أمّي ..
وساحةَ مدرستي ..
وجُنُونَ الطُفُولَهْ ..
أَلّاحظْتِ كم كُنْتِ أُنثى ؟.
وكم كُنْتُ ممتلئاً بالرُجُولَهْ ..

أَلاحَظْتِ ..
كيف تألّقَ وجْهُكِ تحت الحَرَائقْ ؟
وكيف دبابيسُ شعركِ صارت بَنَادِقْ ؟
أَلاحظتِ كيف تغيَّر تاريخُ عينيْكِ في لَحَظاتٍ قليلَهْ ؟
فأصبحتِ سيفاً بشكل امرأَهْ ..
وأصبحتِ شعباً بشكل امرأَهْ ..
وأصبحتِ كلَّ التُرَاثِ ، وكُلَّ القبيلَهْ ..

١٢

أَلَاحَظْتِ ؟

كم كنتِ رائعةَ الحُسْنِ ، ذاكَ المسَاءْ

وكيف جلستِ أمامي كعاصمة الكبرياءْ ..

وكيف تَغَيَّر إيقاعُ صوتِكِ ..

حتى تصوَّرتُ صوتَكِ يُنْبُوعَ ماءْ

وزَهْرَةَ دِفْلَى

على شَعَر المَجْدليَّهْ ..

أَلاحَظْتِ أنَّكِ صِرْتِ دمشقَ ..
بكُلِّ بيارقها الأَمَوِيَّهْ
ومِصْرَ .. بكُلِّ مساجدها الفاطميَّهْ
وصِرْتِ حصوناً .. وأكياسَ رَمْلٍ ..
ورَتْلاً طويلاً من الشُهَداءْ
ألاحَظْتِ ..
أنَّكِ صرتِ خلاصةَ كُلِّ النساءْ
وصرتِ الكتابةَ والأبْجَدِيَّهْ ...

١٣

أُحِبُّكِ عند اشتداد العواصفِ ،
لا تحتَ ضوء الشُمُوعِ ، ولا تحتَ ضوء القَمَرْ
وأُعلنُ للناس أنيّ أُعارضُ ضوءَ القمَرْ
وأَكرَهُ ضوءَ القَمَرْ ..
أُحِبُّكِ حين تكون الشوارعُ مغسولةً بدموع المَطَرْ ..
وحين تصيرُ بلون النُحاسِ ثيابُ الشَجَرْ
أُحِبُّكِ مزروعةً في عيون الصِغَارْ
ومسكونةً بهمرم البَشَرْ ..

ومولودةً من مياه البِحَارْ
وطالعةً من ضمير الحَجَرْ
أُحِبّكِ ..
حين يسافرُ شَعْرُكِ في الريح دونَ جواز سَفَرْ
وحين يُغَمْغِمُ نهدُكِ كالذئبِ .. في لَحَظَاتِ الخَطَرْ
فهل تعرفينَ عشيقاً ..
أَحَبَّكِ يوماً بهذا القَدَرْ ؟

١٤

أُحِبُّكِ أيَّتُها الغاليَهْ
أُحِبُّكِ أيَّتُها الغاليَهْ ..
أُحبُّكِ مرفوعةَ الرأسِ مثلَ قِبَابِ دمشقَ ،
ومثلَ مآذنِ مصرَ ..
فهل تسمحينَ بتقبيل جَبْهتكِ العاليَهْ
وهل تسمحينَ بنِسْيَانِ وجْهي القديمْ ؟
وشِعْري القديمْ ؟
ونِسْيَانِ أخطائيَ الماضيَهْ ..

وهل تسمحينَ بتغيير ثوبكِ ؟
إنَّ حزيرانَ ماتَ ..
وإنيِّ بشوق لرؤية أثوابكِ الزاهيَهْ
أحِبُّكِ أكثَرَ ممّا ببالِكِ ..
أكثرَ ممّا ببال البحارِ ، وبال المراكِبْ
أحِبُّكِ تحت الغُبَارِ ..
وتحتَ الدمارِ ..
وتحت الخرائبْ ..

أُحِبُّكِ أكثرَ من أيِّ يوم مَضَى ..
لأنَّكِ أصبحتِ حُبِّي المُحَارِبْ ..

تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٧٣

حوار ثوري
مع طه حسين

ضوءُ عَيْنَيكَ .. أَمْ هُما نَجْمَتَانِ؟
كلُّهُمْ لا يَرَى .. وأنتَ تَـــرَاني

لستُ أَدري من أينَ أَبـــدأُ بَوْحي
شَجَرُ الدمـع شاخَ في أجفـــاني

كُتِبَ العِشْقُ ، يا حبيبي ، علينا
فهو أبكاكَ مثلمـــــا أبكـــاني

عُمْرُ جُرحي .. مليون عامٍ وعامٍ
هل تَرَى الجرحَ من خلال الدخانِ ؟

نَقَشَ الحُبُّ في دفاتر قلبي
كلَّ أسمائِه .. وما سَمَّاني

قالَ : لا بُدَّ أن تموتَ شهيداً
مثلَ كلِّ العشَّاقِ ، قلتُ عساني

وطويتُ الدُّجى أُسائِلُ نفسي
أَبِسَيْفٍ .. أم وردةٍ قد رماني ؟

كيف يأتي الهوى .. ومن أينَ يأتي ؟
يعرفُ الحبُّ دائماً عُنْواني ..

* * *

صَدَق الموعدُ الجميلُ .. أخيراً
يا حبيبي ، ويا حبيبَ البَيَانِ

ما علينا إذا جلسنا بِرُكْنٍ
وفَتَحْنَا حقائبَ الأحزانِ

وقَرَأنا أبا العَلاءِ قليلاً
وقرأنا (رسالةَ الغُفْرانِ)

أنا في حَضْرة العُصُور جميعاً
فزمانُ الأديبِ .. كلُّ الزمانِ ..

* * *

ضوءُ عينيكَ .. أم حِوارُ المرايا
أم هما طائرانِ يحترقانِ ؟

هــل عُـيُونُ الأديب نـهـرُ لهيـبٍ
أم عُـيُـونُ الأديب نَـهْـرُ أغـــاني ؟

آهِ يا سيِّـدي الذي جعــلَ الليــلَ
نـهـــاراً .. والأرضَ كالمهرجانِ ..

إرْمِ نَـظَّارَتَيْـكَ كـــي أتَمَلَّـى
كيف تبكـي شواطـيءُ المَرْجـانِ ..

إرْمِ نَظَّـارتيكَ .. ما أنتَ أعمىً
إنّما نحــنُ جَوْقَـــةُ العُـمْيـانِ ..

* * *

أيُّها الفارسُ الذي اقتحـــم الشمسَ
وألقـــى رِدَاءَهُ الأُرجُـــــوانـــي

فعلى الفجـــر موجـــةٌ مـــن صهيـــلٍ
وعلى النجـــــم حافـرٌ لِحصَـــانِ ..

أزْهَـرَ البَـرْقُ في أناملــك الخَـمْسِ
وطارتْ للغـــــرب عُصفُـــورتَــانِ

إنَّـــكَ النهـــرُ .. كم سقانا كؤوساً
وكسانـــا بالــــورد والأقحـــوانِ

لم يَـزَلْ ما كَتَبْتَـهُ يُسْكِـرُ الكـونَ
ويجري كالشَهْـــد تحت لســـاني

في كتاب (الأيّام) نوعٌ من الرَّسْم
وفيـــه التفكـيرُ بالألــــوانِ ..

إنَّ تلكَ الأوراق حقلٌ من القمح
فَمِنْ أينَ تبدأُ الشَّفَتَانِ ؟

وَحْدَكَ المُبْصِرُ الذي كشَفَ النَّفْسَ
وأسْرَى في عُتْمَة الوجدانِ

ليس صعباً لِقَاءُنا بإلهٍ ..
بل لقاءُ الإنسانِ .. بالإنسانِ ..

* * *

أيُّها الأزهريُّ .. يا سارقَ النار
ويا كاسراً حدودَ الثواني

عُدْ إلينا .. فإنَّ عصرَكَ عصرٌ
ذهبيٌّ .. ونحنُ عصرٌ ثاني

سَقَطَ الفكـــرُ في النفاق السياسيِّ
وصـــار الأديـــبُ كالبهْلَـــوانِ

يتعاطى التبخيرَ .. يحترفُ الرَّقْصَ ..
ويدعـــو بالنصـــر للسلطـــانِ ..

عُدْ إلينا .. فإنَّ ما يُكْتَبُ اليـومَ
صغيرُ الرؤى .. صغيرُ المعـــاني

ذُبِـــحَ الشعرُ .. والقصيدةُ صـارتْ
قينـةً تُشْتَرى ككلِّ القِيَـــانِ

جَرَّدُوها من كلِّ شيءٍ .. وأدمَوْا
قَدَمَيْهـا .. باللَّـفِّ والـــدَّوَرانِ

لا تَسَلْ عن روائع المتنبّي
والشريفِ الرضيِّ ، أو حَسَّانِ ..

ما هُوَ الشعرُ ؟ لَنْ تُلاقي مُجيباً
هُوَ بين الجُنُون والهَذَيانِ

* * *

عُدْ إلينا ، يا سيِّدي ، عُدْ إلينا
وانْتَشِلْنا من قَبْضَة الطُّوفَانِ

أنتَ أرضَعْتَنا حليبَ التحدّي
فَطَحَنَّا النجومَ بالأسنانِ ..

واقتلعنَا جلودَنا بِيَدَيْنَا
وفَكَكْنَا حجارةَ الأكوانِ

ورفَضْنَا كلَّ السلاطينِ في الأرضِ
رَفَضْنَا عبادةَ الأوثانِ

أيُّها الغاضبُ الكبيرُ .. تأمَّلْ
كيف صار الكُتَّابُ كالخِرْفانِ

قَنِعُوا بالحياة شمساً .. ومرعىً
واطمأنّوا للماء والغُدْرانِ

إنَّ أقسى الأشياء للنَفْس ظُلماً ..
قَلَمٌ في يد الجبانِ الجبانِ ...

* * *

يا أميــــرَ الحُرُوفِ .. ها هــيَ مصرُ
وردةٌ تَـسْتحِـمُّ في شِرْيـــــاني

إنّني في حِمَى الحُسَيْنِ ، وفي الليل
بقايا مــــن سُورَةِ الرحمــــنِ ..

تَسْتَبِدُّ الأحــــزانُ بي .. فأُنـادي
آهِ يا مِصْرُ من بـــــني قحطـــانِ ..

تاجَرُوا فيكِ .. ساوَمُوكِ .. اسْتَبَاحوك ..
وباعــــوكِ كاذبـــاتِ الأمـــاني

حَبَسُــوا المـاءَ عن شِفاهِ اليتــامى
وأراقُــوه في شفــــاه الغـــواني

تركوا السيفَ والحصانَ حزينيْــــنِ
وباعـوا التاريخَ للشيطـــــــــانِ

يشترونَ القصورَ ... هل ثَـــمَّ شارٍ
لقُبـــــور الأبطال في الجُولانِ ؟

يشترونَ النساءَ .. هـل ثَـمَّ شـارٍ
لدموع الأطفال في بِيسَــــــانِ ؟

يشترونَ الزوجاتِ باللحــــم والعظم
أيُشْرَى الجمـــالُ بالميـــزانِ ؟.

يشترونَ الدُّنيا ... وأهلُ بــــلادي
ينكُشُونَ التـــــرابَ كالديـدانِ ...

* * *

آهِ يا مصرُ ..كم تعانينَ منهُـــمْ
والكبيرُ الكبيــرُ .. دومــاً يُـعاني ..

*

لِمَنِ الأحمـــرُ المُـــراقُ بسينـاءَ
يُـحـــاكي شقائــقَ النُّـعْـمَـانِ ؟

أكَـلَـتْ مِصْرُ كِبْدَها .. وسواها
رافـلٌ بالحـــرير والطَـيْـلَـسانِ ..

يـا هَـوَانَ الهوان .. هل أصبح النفطُ
لدينا .. أغـلى من الإنســـانِ ؟

أيُّهـــا الغارقونَ في نِـعَـمِ اللهِ ..
ونُـعْـمَـى المُـرَبْـرَباتِ الحِسَـــانِ ..

قد رَدَدْنَا جحافلَ الـــرُومِ عنكُـمْ
ورَدَدْنا .. كِسْرَى أنوشِــرْوانِ

وحَمَيْنَـــا مُحمّـــداً ... وعَلِيّـاً
وحفظنـــــا كـرامـــةَ القُـرآنِ ..

فادفَعُوا جِـــزْيَةَ السيوف عليكُـــمْ
لا تعيشُ السُّيــوفُ بالإحســـانِ ..

*

سامحيني يا مِصْرُ .. إن جمحَ الشِّعْرُ
فطَعْمُ الحريق تحت لســـــــاني

سامحيني .. فأنـــتِ أُمُّ المُـــرُوءاتِ
وأُمُّ السمـــاحِ والغُفْــــرانِ ..

سامحيني .. إذا احترقْتُ وأَحْرَقْتُ
فليس الحيادُ في إمْكاني

مِصْرُ .. يا مِصْرُ .. إنَّ عشقي خطيرٌ
فاغفري لي إذا أضعتُ اتّزاني ...

مرسومٌ بإقالة
خالد بن الوليد

١

سَرَقُوا منّا الزمانَ العربيّْ
سَرَقُوا فاطمةَ الزهراءَ من بيت النبيّْ
يا صلاحَ الدينِ ،
باعوا النسخةَ الأولى من القرآنِ ،
باعوا الحزنَ في عينيْ عليّْ ..
كشفوا في أُحُدٍ ظهرَ رسول اللهِ ..
باعوا الأنهرَ السبعةَ في الشامِ ،
وباعوا الياسمينَ الأمَويّْ ..
يا صلاحَ الدينِ ،
باعوكَ ، وباعونا جميعاً ..
في المزادِ العَلَنيّْ ..

٢

سَرَقُوا منّا الطموحَ العربيْ
عَزَلوا خالدَ في أَعقاب فَتْح الشامِ ،
سمَّوهُ سفيراً في جنيفٍ ،
يلبسُ القُبَّعَةَ السوداءَ ..
يستمتعُ بالسيجار .. والكافيارِ ..
يُرغي بالفرنسيَّةِ ..
يمشي بين شقراوات أوروبّا ..
كديك وَرَقيْ ..
أَتراهُمْ دجَّنوا هذا الأميرَ القرشيْ
هكذا تُخْصَى البطولاتُ لدينا يا بُنَيْ ..

٣

سَرَقُوا من طارقٍ معطفَهُ الأندلسيْ
أخذوا منه النياشينَ ، أَقالوهُ من الجيشِ ،
أَحالوهُ إلى محكمة الأمن ،
أَدانوهُ بجرم النصر ، هل جاء زمانٌ
صار فيه النصرُ محظوراً علينا يا بُنَيْ ؟.
ثُمَّ هل جاءَ زمانٌ .؟
يقفُ السيفُ به مُتَّهماً
عند أبواب القضاء العسكريْ

ثُمَّ هل جاءَ زمانٌ؟.
فيه نستقبلُ إسرائيلَ بالورد.. وآلافِ الحمائمْ
والنشيدِ الوطنيْ..
لم أَعُدْ أَفهمُ شيئاً يا بُنَيْ..
لم أَعُدْ أَفهَمُ شيئاً يا بُنَيْ..

٤

رَهَنوا الشمسَ لدى كلِّ المرابينَ ،
وباعُوا بالملاليم القَمَرْ ..
كَسَرُوا سَيْفَ عُمَرْ ..
شَنقوا التاريخَ من رجليْهِ ..
باعُوا الخيلَ ، والكوفيَّةَ البيضاءَ
باعُوا أَنجُمَ الليلِ ، وأوراقَ الشَجَرْ ..
سرقوا الكحلَ من العينِ ،
وباعُوا في عيونِ البدويّاتِ الحَوَرْ

أَجْهَضونا قبلَ أن نَحبَلَ ..
أعطونا حبوباً
تمنعُ التاريخَ أن يُنجبَ أولاداً ..
وأعطونا لقاحاً
يمنع الشامَ بأن تصبحَ بغداداً ..
وأعطونا حبوباً ..
تمنعُ الجرْحَ الفلسطينيَّ أن يصبحَ بستانَ نخيلْ
وماريجوانا .. لقتل الخيل ، أو قتل الصهيلْ ..
وسقونا من شرابٍ ..
يجعلُ الإنسانَ من غير مواقفْ
ثمَّ أعطونا مفاتيحَ الولاياتِ ..
وسَمَّونا مُلُوكاً للطوائفْ ..

٥

يا صلاحَ الدينِ ..
هل تسمعُ تعليقَ الإذاعاتِ ..
وهل تُصغي إلى هذا البغاء العَلَنيْ ؟
أَكَلوا الطُعْمَ .. وبالوا
فوق وجه العُنْفوان العربيْ
ما الذي يجري على المسرح ؟
مَنْ يجذُبُ خيطانَ الستار المُخْمَليْ ؟
مَنْ هوَ الكاتبُ ؟ لا ندري
مَن المُخْرِجُ ؟ لا ندري
ولا الجمهورُ يدري .. يا بُنَيْ ..

إِنَّهُمْ خلفَ الكواليسِ ..
وهُمْ يغتَصِبونَ امرأةً تُدْعى الوطنْ ..
ويبيعون الخلاخيل برجلَيْها ..
يبيعون البساتينَ بعينيْها ..
يبيعونَ العصافيرَ التي
تسكنُ في نافذة النهدين من بدء الزَمَنْ
ويبيعونَ بكأْسينِ من الويسكيِّ ..
أَملاكَ الوطنْ ..

٦

سَرَقُوا منّا الزمانَ العربيْ
أطفأوا الجمرَ الذي يُحرق صدرَ البَدَويْ
علَّقُوا لافتةَ البيع على كلّ الجبالْ
سَلَّموا الحنطَةَ .. والزيتونَ .. والليلَ ..
وعِطْرَ البرتُقَالْ ..
مَنَعُوا الأحلامَ أن تحلُمَ .. ساقُوا
كلَّ أنواع العصافير التي تكتُبُ أشعاراً
إلى السجنِ .. فهل جاءَ زمانٌ ؟
صار فيه كُلُّ من يحملُ صندوقَ سلاحٍ
كالذي يحملُ صُندوقَ حشيشٍ .. يا بُنَيْ

ثم هل جاءَ زمانٌ؟
أصبحَ التحريرُ والتخديرُ فيه توأَمَينْ..
ثمَّ هل جاءَ زمانٌ؟
أصبَحَ الفِعْلُ به ضِدَّ اليَدَيْنْ
ثم هل هل جاءَ زمانٌ؟
صارَ فيه الحَرْفُ ضدَّ الشَفَتَيْنْ؟.

٧

يا صلاحَ الدينِ ..
هذا زَمَنُ الرِدَّةِ ..
والمَدِّ الشعوبيِّ القويْ
أَحْرَقُوا بَيْتَ أبي بَكْرٍ ..
وألقُوا القبضَ في الليل على آلِ النبيْ
فشريفاتُ قُرَيْشٍ
صِرْنَ يغسِلْنَ صُحونَ الأَجنبيْ ..

٨

يا صلاحَ الدينِ ..
ماذا تنفعُ الكِلْمةُ في هذا الزمانِ الباطنيْ
ولماذا نكتُبُ الشِعْرَ .. وقد
نَسِيَ اللهُ الكلامَ العربيْ ؟؟

١٩٧٧

مواويلُ دمشقيّة
إلى قمر بغداد

ألقيت في المهرجان الذي أقامه الاتحاد العام لنساء العراق في بغداد في ١٩٧٩/٢/١٠ تحت شعار (من أجل شعر يترجم طموحات الأمة في وحدتها) .

أَيْقَظَتْني بلقيسُ في زُرْقَة الفَجْر
وغَنَّتْ من العراقِ مَقاما ..

أرْسَلَتْ شَعْرَها كنَهْر (دِيَالى)
أَرأَيْتُمْ شَعْراً يقولُ كَلاما ؟

كان في صَوْتِها الرصَافَةُ ، والكَرْخُ ،
وشَمْسٌ .. وحِنْطَةٌ .. وخُزَامى

حَمَلَتْ لي جرائدَ اليوم ، والشايَ ،
وفاضَتْ أُمومةً وابتساما

ما لها زوجتي تُطارحني الحُبَّ ؟
وكانَ الهوى علينا حَرَامَا

لكَ عندي بِشَارَةٌ يا حبيبي
فَعَلَ القومُ ما فعلنا تماما

ذكَّروني ـ قالتْ ـ بليلة عُرْسي
ورفيفِ المُنَى ، وظُرْف النَدَامى

قبل عصر التوحيد نحنُ اتَّحدْنَا
وجعلنا (راوا) دِمَشْقَ الشاما

أَخَذُوا الحُبَّ ، والصبابةَ عنَّا
ونَسَوْا أنّنا اخترعنا الغَرَاما

إنْ يكونوا تَعَلَّمُوا لُغَةَ العِشْقِ
فنحنُ المتيَّمونَ القُدَامَى

إلتزامي أنا .. بوجه حبيبي
أوَليسَ الحبُّ الكبيرُ التزاما ؟

تُهْمةُ الحُبّ لا تزال ورائي
لا رآني رَبِّي أَرُدُّ اتِّهَامَا

.. وتَزَوَّجتُ زوجتي من جديدٍ
وضحِكْنا .. وقَبْلُ كنَّا يَتَامَى

* * *

يا شِراعــاً وراءَ دَجْـلـةَ يجــري
إقترِبْ .. إنّني أمــوتُ هُيامـــا

لي عــلى الشّـطِّ نَخْلـةٌ تَيَّمَتْـني
بهواهــا .. فاقــرأْ عليهــا السَلامَا

كيفَ أنسى في (الأعظميَّةِ) ظَبْيَاً
أشْعَلَ النارَ في دمائي .. ونَــامَـا

تلكَ بغدادُ .. بعد عَشْر سنيــنِ
تلبسُ المـاءَ ، والنجــومَ حِـزَاما

دَجْلـةٌ عاشـقٌ يزورُ دمَشْقـــاً
وكريمٌ أتــى يزورُ كِـــرامَا ..

إنَّ كفَّ المأمون في كـفِّ مَـرْوَانَ
ومـــاءُ الفُراتِ صـــار مُـــدامًا

ليلةُ القَـدْر ، ما أراهُ أمـــامي ،
أم يكـــونُ الـــذي أراهُ منامـا

بابـــلٌ ضَـوَّأَتْ .. وقَبْـرُ عَــليٍّ
تركَ الأرضَ ، واستحالَ غمـــاما

إنتظرنا هذا الـــزفافَ طـويـلاً
وشربنـــا دموعَـنـا أعـــواما

لا بريدُ المحبــوب يأتي إلَيْـنَـــا
لا ولا النومُ قابِـــلٌ أن ينامَـا

حُلُمٌ مُدْهِشٌ .. أخافُ عليهِ
فَلَكَمْ كسَّرُوا لنا أحلاما

بَرَدى . يا أبا النُهُور جميعاً
يا حصاناً يسابقُ الأيَّاما

كُنْ بتاريخنا الحزين نبيًّاً
يتلقَّى من ربّهِ الإلهاما

الملايينُ بايَعَتْكَ أَميراً
عربيّاً .. فَصَلِّ فيها إمَامَا

وتَزَوَّجْ نَخْلَ العراقِ .. وأَنْجِبْ
خالداً ثانياً .. وأَنْجِبْ هشاما ..

* * *

يا عُيُونَ المَهَا ببادِيَـــة الشَـــامِ
أطِـــلّي .. هذا زمانُ الخُـــزَامى

حَبَسُوكُنّ في الخيام طويـــــلاً
فَغَزلْنَـــا من الدمُـــوع خيامـــا

واسْتَرَدُّوا (الجِسْرَ المُعلَّـقَ) مِنَّا
واسْتَرَدُّوا الغُروبَ والأنسامـــــا

شَهِدَ اللهُ، ما حَنَثْنَا بوَعْـــدٍ
أو خَفَرنا لمن نُحِبُّ الذِمَـــامَا ..

غيرَ أنَّ الريـــاحَ هبَّتْ علينـــا
ورَمَتْنَا عـــلى الخليـج حُطَاما

عَلَّمُونا أنْ لا نُحِبَّ .. فخِفْنَـــا
لو فَعَلْنا ، أن نستحيـــلَ رُخاما

واعْتَذَرْنا عن أيِّ حُبٍّ بديـــلٍ
ورفَضْنَا التخويـــفَ والإرغامـــا

كلُّ هذا الخصام ، كان افتعـــالاً
حين يقوى الهَوَى ، يصيرُ خِصاما ..

* * *

يا شَذَا (الرَازِقيِّ) في ليل بغدادَ
عَشِقْنَا .. فَمَنْ يردُّ السِهَـــاما

يا سؤالَ الورد الدِمْشقيِّ عـــنّي
يا حقولاً ، ركَضْتُ فيهـــا غُلَامَا

سَنَواتٌ عَشْرٌ .. نسيتُ حُـــروفي
ودَواتي ، كما نسيـــتُ الكـــلاما

ما كَتَبْنَا .. وكيف يكتُبُ شِعْراً
مَنْ يُعاني تَـمَزُّقـــاً وانْفِصَامـــا ؟

سامَحَ اللهُ مَنْ على غير قَـصْـــدٍ
سَرقـــوا من طُفُولتي أعـــــواما

لي حبيبانِ ، يملأان حيـــــاتي
أَتْـعَـباني تنافُـــــراً وانْسِجَامَـــا

لم نُـفَـرِّقْ ما بينشعـــبٍ وشعـــبٍ
كيف يرضى لونُ السماء انقساما ؟

وَطَــنٌ واحِـدٌ .. رَسَمْنَاهُ قَـمْحَاً
ونخيلاً ، وأنْجُماً ،، ويَمَامــــا

نَيْنَوَى .. البُوكَمَالُ .. طرطوسُ .. حِمْصٌ
بابلٌ ، كَـرْبَلاءُ ، رُدِّي السلامـا ..

وَطَـنٌ واحِـدٌ .. ولا كان شِعْري
لو يُغنّي قبيلةً .. أو نظامَــــا ..

* * *

هــل أَتَتْكَ الأخبارُ يا مُتَنبِّــي
أنَّ كافُورَ فكَّـكَ الأهــــرامَا ؟

سقَطَتْ مِصْرُ في يَـدَيْ قُـــرَوِيٍّ
لم يَجِدْ ما يَبيعُ إلا (التُـــرامَـا) ..

مَسْرَحيٌّ الطموحِ ، يلبس وجهاً
للكُوميدْيَا .. وثانياً للدِرَامَا

هو فاروقُ .. شهوةً ، وغُرُوراً
والخديوي .. تسَلُّطاً وانتقاما

وَعَدَ الناسَ بالرحيقِ وبالشَّهْدِ
ولكنْ سَقَاهُمُ الأوهاما

سَاقَ من فَكَّرُوا لمحكمة الأَمْنِ
وألغى المدادَ والأقلاما ..

وَظَّــفَ النيـــلَ مُسْتَشَـــاراً لديهِ
والملايينَ ، ساقَهــــا أغْـنَامـــا

أَضْرَمَ النارَ في منازل عَبْـــــسٍ
وتميـــمٍ ، وأنْــكَرَ الأرْحَـامـــا

عَصَبيٌّ .. يصيحُ في مصرَ كالديكِ ..
وفي القُـدْسِ يمسحُ الأقدَامَــــا

جَرَّدُوهُ من كُلِّ شيءٍ .. ولَمَّـــا
اسْتَـهْلَكُوهُ ، ألقوا إليه العِظَامَــا

* * *

غيَّرَ الثائرُونَ خارطةَ الأرضِ
وشَدُّوا من حولها الأَلْغاما

واسْتَفَقْنَا مع الذين استفاقُوا
فامنحُونا حُرِيَّةً .. وطعاما

لم تُغيِّرْ حضارةُ النفْطِ ظفراً
من أظافيرِنا .. ولا إبْهامَا

قد حَبِلْنا بالنفْط .. دونَ زواجٍ
ووضعنا ، بعد المَخَاض ، سُخَاما ..

* * *

أيْقَظَتْني بلقيسُ في زُرْقَةِ الفجر
وغَنَّتْ من العـراقِ مَقَـامـا ..

أرْسَلَتْ شَعْرَها كنهر (دِيالَـى)
أرأَيْتُـمْ شَعْـراً يقولُ كلامـا ؟

كانَ في صوتِها الرَصَافَةُ والكَرْخُ
وشَـمْسٌ .. وحِنْطَةٌ .. وخُـزَامى

لنْ يكونَ العراقُ إلّا عراقـاً
وهشـامُ العظيـمُ يبقى هِشَـاما ..

موّالك دمشقيّ

لقد كَتَبْنَا .. وأرسَلْنَا المراسيــــلا
وقد بكَيْنَا .. وبلَّلْنا المنـــــاديلا

قُلْ للذينَ بأرض الشام قد نَــزَلُوا
قتيلُكُمْ لم يَزَلْ بالعشق مقْتُــولا ..

يا شامُ . يا شامةَ الدُنْيا ، وَوَردْتَها
يا مَنْ بحسنكِ أوجَعْتِ الأزاميــلا

وددْتُ لو زَرَعُوني فيــكِ مِئْذَنَــةً
أو علَّـقُوني على الأبواب قِنْــديلا

يا بَلْـدةَ السَبْعَةِ الأنهارِ .. يا بَلَدي
ويا قميصاً بزَهْر الخوخ مَشْغُولا

ويا حِصَاناً تخلَّى عن أعِنَّتِــــــهِ
وراحَ يفتحُ معلومــاً ، ومَجْهُولا

هواكَ يا بَرَدى ، كالسيف يسكُنُنِي
وما ملكتُ لأمــر الحُبّ تبديـــلا

ما للدمشْقِيَّةِ الكانَتْ حبيبتَنَا
لا تذكُرُ الآنَ طَعْمَ القُبْلة الأُولى

أيَّامَ في دُمَّرٍ كُنَّا .. وكان فَمي
على ضفائرِها .. حَفْراً .. وتَنْزِيلا ..

والنَهْرُ يُسْمِعُنا أحلى قصائدِهِ
والسَرْوُ يلبس بالساقِ الخلاخيلا

يا مَنْ على ورق الصفصاف يكتُبُني
شِعْراً .. وينقشُني في الأرض أيلولا

يا مَنْ يعيدُ كراريسي .. ومدرسَتي
والقمحَ ، واللوزَ ، والزُرْقَ المواويلا

يا شامُ . إنْ كنتُ أُخفي ما أُكابدُهُ
فأجمـلُ الحُـبّ حُبٌّ ـ بَعْدُ ـ ما قِيلا ...

موّال بغداديّ

مُدِّي بساطيَ .. واملأي أكوابي
وانسي العتابَ ، فقد نسيتُ عتابي

عَيْنَاكِ يا بغدادُ ، منذُ طفولتي
شَمْسَانِ نائمتانِ في أهدابي

لا تُنْكري وجْهي .. فأنتِ حبيبتي
وورودُ مائدتي ، وكأسُ شَرَابي

بغدادُ .. جئتُكِ كالسفينة مُتْعَباً
أُخْفي جراحاتي وراءَ ثيابي

ورمَيْتُ رأسي فوق صدر أميرتي
وتلاقَتِ الشَفَتانِ بعد غيـــــابِ

أنا ذلكَ البَحَّارُ أنفقَ عُمْــرَهُ
في البحث عن حُبٍّ .. وعن أحبَابِ

بغدادُ .. طِرْتُ على حرير عباءةٍ
وعلى ضفائر زينبٍ وربَـــــابِ

وهَبَطْتُ كالعصفور يقصُدُ عُشَّهُ
والفَجْرُ عُرْسُ مآذِنٍ وقِبَـــابِ

حتى رأيتُـــكِ قطعةً من جوهـرٍ
ترتاحُ بين النَخْل والأعْنَـــابِ

حيثُ الْتَفَتُّ ، أرى ملامحَ موطني
وأَشُمُّ في هذا الـتراب تُـرابي

لم أَغْتَرِبْ أبداً .. فكُلُّ سَحَابةٍ
زَرْقَـاءَ .. فيها كِبْرياءُ سَحَـابي

إنَّ النجومَ الساكناتِ هضابَكُمْ
ذاتُ النجومِ الساكناتِ هضابي ..

بغدادُ عِشْتُ الحُسْنَ في ألوانِـهِ
لكنَّ حُسْنَكِ ، لم يكُنْ بحسابي

ماذا سأكتُبُ عنكِ في كُتُب الهوى
فهواكِ لا يكفيـهِ ألْفُ كتابِ

* * *

يغتالُني شِعْري .. فكلُّ قصيدةٍ
تَمْتَصُّني .. تمتصُّ زيْتَ شبابي

الخِنْجَرُ الذهبيُّ .. يشربُ من دمي
وينامُ في لحمي ، وفي أعصابي

بَغْدادُ . يا هَزْجَ الأساور والحُلَى
يا مخزنَ الأضواءِ والأطْيَابِ

لا تظلمي وترَ الرَبَابة في يدي
فالشوقُ أكْبَرُ من يدي ورَبَابي

قَبْلَ اللقاء الحُلْو .. كنتِ حبيبتي
وحبيبتي تَبْقِينَ بعدَ ذَهَابي ..

بغداد ٨ ـ ٣ ـ ١٩٦٢

مُذكرات أندلسيّة

١

في إسبانيا
لم أحْتَـجْ إلى داوةْ
ولا إلى حبرٍ أسقي به عَـطَشَ الوَرَقْ
عُيونُ مورينا روساليا
ترشُّني بالشوق الأَسْوَدْ
عيونُ مورينا روساليا .. دواةٌ سوداءْ
أغُـطُّ فيها ولا أسألْ ..
وتشربُ حياتي .. ولا تسألْ
كـهَوْدَجٍ عربيٍّ يحفرُ مصيرَهُ في الأبعادْ
يحفُرُ مصيرَهُ في مصيري

مدريد ١٩٥٥/٨/٥

٢

شَعْرُ ميراندا آلافيدرا الكثيفْ
المُتَنَفِّسُ كغابةٍ إفريقيَّهْ
أطولُ حكاية شوقٍ سمعتُها في حياتي
ما أكثرَ حكايا الشوق التي سمعتُها في حياتي
وأكَلَتْ حياتي ...

٣

الراقصةُ الإسبانيةُ ..
تقولُ بأصابعها كلَّ شيءْ
والرقصُ الإسبانيُّ هو الرقْصُ الوحيدْ
الذي يستحيلُ فيه الإصبعُ إلى فَمْ
النداءُ الساخنُ .. والمواعيدُ العطشى ..
والرضى .. والغَضَبُ .. والشهوةُ .. والتمّني
كلُّ هذا يقالُ بشَهْقَة إصبعْ ..
بنَقْرةِ إصبعْ ..

أنا في محلِّي ..
وسَمْفُونيَّةُ الأصابع هناكْ
تحصدني ..
تشيلُني
تحطُّني على تَنُّورةٍ أندلسيَّهْ
سرقَتْ زهْرَ الأندلس كلَّهُ ولم تسألْ ..
وسرقَتْ نهارَ عُيوني
ولم تسأَلْ ...

* * *

أنا في مَحَلِّي ..
والكأسُ العشرونَ في محلِّها
وسَمْفُونيَّةُ الأصابع
في أَوْج مدِّها وجَزْرها
والمطرُ الأسودُ المتساقطُ من فَتْحَات العيون الواسعَهْ
شيءٌ لا يعرفُهُ تاريخُ المَطَرْ
لا تذكرُهُ ذاكرةُ المَطَرْ
أنا في محلِّي ..
فيا مَطَرَ الأعين السُودْ
سألتُكَ .. لا تَنْقطِعْ ..

غرناطة ١٠/٨/١٩٥٥

٤

ما تَمنَّيتُ أن أكونَ عُرْوةً في رداءْ
إلَّا في المتحف الحربيِّ في مدريدْ
الرداءُ لأبي عبد اللهِ الصغيرْ
والسيفُ سيفُهْ..
السائحونَ الأجانب لا يستوقفُهم الرداءْ..
ولا السيفْ..

أما أنا ..

فيربطني بالرداءِ .. وبصاحب الرداءْ ..
ألفُ سَبَبْ
هل تعرفونَ كيف يقف الطفلُ اليتيمْ
أمام ثياب أبيه الراحلْ؟..
هكذا وقفتُ أمام الخزانة الزجاجيَّة المغلقَهْ
أسْتَجْدي الزَرْكَشَاتْ
آكُلُ بخيالي النسيجَ ..
خيطاً ..
خيطاً ..

ومع هذا ..
لم يتركني أبو عبد اللهِ الصغيرْ
وحدي في المدينَهْ ..
كانَ كلَّ ليلةٍ يلبسُ رداءَهُ
ويتركُ الخزانةَ الزجاجيّة ..
في المتحف الحربيّ
ليمشي معي في (بولفار الكاستيانا) في مدريدْ
ليدلَّني على وريثاتِهِ الأندلسيَّاتْ
واحدةً .. واحدهْ ..

ـ هل تعرفُ هذه الجميلَهْ ؟

ـ لا

ـ هذه كان اسمُها (نُوار بنت عمَّار) وكان
أبوها عمّار بن الأحنف ، رجلاً ذا فَضْلٍ ويسار ،
وكانت نُوارُ هذه ، تدرجُ كالقَطَاة بيننا ، وتنهضُ
كالنَخْلة المَيْسَاء بين صويحباتها في الحيّ ...

ـ لماذا لا نُنَاديها يا أبا عبد الله ؟

ـ إنَّها لا تعرفُ اسمَها ! !

ـ وهل ينسى أحدٌ إسمَهْ ؟

ـ نعم .. هذا يحدث في التاريخ ...

إنَّ اسمَها الآن أصبحَ NORA AL AMARO

بدلاً من نُوار بنت عمَّارْ ..

ـ يا نُورا ...

ـ ماذا تريدان ؟

ـ لا شيء .. كلُّ ما في الأمر أنَّ هذا الرجل

كانَ صديقاً لأبيكِ في دمشق .. وهو يرغبُ

في تحيّتك ...

ـ صديقاً لأبي في دمشقْ ؟؟

ـ نعم .. أنتِ لا تذكرينَ ذلك .. لأنَّكِ كنتِ

يومئذ طفلة ...

ـ ربّما ..

ـ عمي مساءً ...

ـ BUENAS NOCHES

قرطبة ١٢/٨/١٩٥٥

٥

القُرْطُ الطويل
في أُذُن آناليزا دوناليا
دمعةٌ تركت الأُذُنَ منذ قرونْ
ولم تصل إلى مرفأ الكَتِف بَعْدُ ..
هذا القُرْطُ الطويلْ
وكلُّ قُرطٍ طويلْ
في أُذُن كلِّ سيِّدةٍ إسبانيَّهْ
محاولةٌ مستميتة ..
للوُصُول إلى مَقْلَع الضوء في الكَتِفَيْنْ ...

يا قُرْطَ أناليزا دوناليا ..
لا وصلتَ أبداً إلى مُشْتَهَاكْ
ولا انتهتْ رحلتُكْ
لأن تعيشَ بوهم الكَتِفْ ..
خيرٌ لكَ ألفَ مرَّة ..
من أن تدفنَ طموحَكَ في رخامِها ..
يا قُرْطَ أناليزا دوناليا
يا جُوعَ الضوء إلى الضوء ..
قلبي معكْ ..

٦

في أزِقَّة قرطُبة الضيقَّة ..
مددتُ يدي إلى جيبي أكثرَ من مرَّة ..
لأُخرجَ مفتاحَ بيتنا في دمَشْقْ ..
أحواضُ الشمشير .. واللَّيْلَكِ .. والقُرطاسيا ..
البِرْكَةُ الوسطى ، عَيْنُ الدار الزرقاءْ
الياسمينْ الزاحفُ على أكتاف المخادعْ ..
وعلى أكتافنا ..
النافورةُ الذهبيّةُ ، طفلةُ البيت المُدَلَّلَهْ ..
التي لا تنشفُ لها حُنجُرَهْ ..
والقاعاتُ الظليلةُ أواني الرطوبة .. ومخبؤها ..

كلُّ هذه الدنيا المطيَّبة التي احتضنتْ طفولتي في دمَشْقْ ..
وجدتُها هُنا ..
فيا سيِّدتي المُتَّكئة على نافذتها الخشبيَّهْ
لا تُراعي .. إذا غسلتُ يدي في بِرْكتِكِ الصغيرَهْ
وقطفتُ واحدةً منِ ياسميناتكْ ..
ثم صعدتُ الدرج .. إلى حُجْرَة صغيرَهْ ..
حُجْرَة شرقيّةٍ مُطَعَّمةٍ بالصدَف ..
تتسلَّقُ شبابيكَها الشمسُ .. ولا تسأَلْ
ويتسلّقُ أستارَها اللَّيْلَكُ .. ولا يسأَلْ
حُجْرةٍ شرقيّة ..
كانت أَمّي تنصبُ فيها سريري ...

قرطبة ١٨/٨/١٩٥٥

أوراق إسبانية

١٩٦٢ ـ ١٩٦٦

(١)

الجسر

إسْبانيا
جِسْرٌ من البُكاءْ ..
يمتدُّ بين الأرض والسماءْ

(٢)

سوناتا

على صدر قيثارةٍ باكيَهْ
تَمُوتُ .. وتولدُ إسبانِيَـهْ ...

(٣)
الفارسُ والوردة

إسْبَانيا
مراوحٌ هفهافَةٌ تُمَشِّطُ الهواءْ
وأعينٌ سوداءُ .. لا بدءٌ لها ، ولا انتهاءْ
قُبَّعَةٌ تُرمى أمام شرفة الحبيبَهْ
ووردةٌ رطيبَهْ ..
تطيرُ من مقصورة النساءْ
تحمل في أوراقها الصلاةَ والدعاءْ
لفارسٍ من الجنوب ، أحمرِ الرداءْ
يداعبُ الفناءْ
وكلُّ ما يملكُهُ سيفٌ .. وكبرياءْ ..

(٤)
بيتُ العصافير

بإشْبيليَهْ
تُعلِّقُ كلُّ جميلَهْ
على شَعْرها وردةً قانيَهْ
تحطُّ عليها مساءً
جميعُ عصافير إسبانِيَهْ ..

(٥)

مراوحُ الإسبانيّات

إذا لَمْلَمَ الصيفُ أشياءَهُ
ومات الربيعُ على الرابيَهْ
تفتَّحَ ألفُ ربيعٍ جديدٍ
على ألفِ مَرْوَحَةٍ زاهيَهْ ..

(٦)

اللؤلؤ الأسود

شوارعُ غرناطةٍ في الظهيرَهْ
حقولٌ من اللؤلؤِ الأسودِ ..
فمِنْ مقعدي
أرى وطني في العيون الكبيرَهْ
أرى مئذناتِ دمشقَ ..
مُصَوَّرةً فوق كلِّ ضفيرَهْ ...

(٧)

دونيا ماريا

تُمزِّقُني دونيا ماريَهْ
بعينيْنِ أوسعَ من باديَهْ
ووجهٍ عليه شموسُ بلادي
وروعةُ آفاقها الصاحِيَهْ ..
فأذكُرُ منزلنَا في دمشقَ ..
ولَثْغةَ بِرْكتِهِ الصافيَهْ
ورقْصَ الظلال بقاعاتِهِ
وأشجارَ ليمونه العاليَهْ

وباباً قديماً .. نَقَشْتُ عليه
بخَطٍّ رديءٍ حكاياتِيَهْ
بعَيْنَيْكِ يا دونيا ماريَهْ
أرى وطني مرةً ثانيَهْ ...

(٨)
القُرْطُ الطموح

على أُذُنَيْ هذه الغانيَهْ
تأرجَحَ قُرْطٌ رفيعْ
كما يضحكُ الضوءُ في الآنِيَهْ
يَمُدُّ يديْهِ .. ولا يستطيعْ
وُصُولاً .. إلى الكَتِفِ العاريَهْ ..

(٩)

الثور

برغْمِ النزيف الذي يعتريهِ
برغْمِ السهامِ الدفينةِ فيهِ
يظلُّ القتيلُ على ما بهِ ..
أَجَلَّ ، وأكبرَ .. من قاتِليهِ ...

(١٠)

نزيفُ الأنبياء

كُوريدَا ..
كُوريدا ...
ويندفعُ الثورُ نحو الرداءْ
قويَّاً ، عنيدا
ويسقُطُ في ساحة الملعبِ
كأيِّ شهيدٍ ، كأيِّ نبي
ولا يَتَخلَّى عن الكبرياءْ ..

(١١)

بقايا العرب

فْلاَمِنْكُو ..
فْلاَمِنْكُو ..
وتستيقظُ الحانةُ الغافيَهْ
على قَهْقَهَاتِ صُنُوجِ الخَشَبْ
وَبَحَّةِ صوتٍ حزينٍ
يسيلُ كنافُورةٍ من ذَهَبْ
وأجلسُ في زاويَهْ
أَلُمُّ دموعي ..
أَلُمُّ بقايا العَرَبْ ..

أحزانٌ في الأندلس

كَتَبْتِ لي .. يا غاليَهْ
كَتَبْتِ تسألينَ عن إسبانيَهْ
عن طارقٍ ،
يفتحُ باسم اللهِ .. دُنْيا ثانيَهْ
عن عُقْبة بن نافعٍ
يَزْرَعُ شَتْلَ نَخْلَةٍ
في قلب كُلِّ رابيَهْ ..

سألتِ عن أُمَيَّةٍ
سألتِ عن أميرها مُعاويَهْ
عن السرايا الزاهيَهْ
تحملُ من دمَشْقَ في رِكابِها
حضارةً ..
وعافيَهْ ...

* * *

لم يبقَ في إسْبَانيَهْ
مِنَّا ..
ومِنْ عُصُورنا الثمانيَهْ
غيرُ الذي يبقى من الخَمْرِ
بجوف الآنيَهْ ..
وأعْيُنٍ كبيرةٍ .. كبيرةٍ ..
ما زالَ في سَوَادِها
ينامُ ليلُ الباديَهْ ..

لم يَبْقَ من قُرْطُبَةٍ
سوى دموع المئذنات الباكيَهْ
سوى عبير الوردِ ،
والنَارَنْجِ ،
والأضَالِيَهْ ..
لم يَبْقَ من (وَلَّادةٍ)
ومن حكايا حُبِّها ..
قافيةٌ ...
ولا بقايا قافيَهْ ..

* * *

لم يَبْقَ من غَرْنَاطةٍ ..
ومن بني الأحْمَرِ ..
إلَّا ما يقولُ الراويَهْ
وغيرُ (لا غالبَ إلا الله) ..
تلقاكِ بكلِّ زاويَهْ
لم يبقَ إلا قصرُهُمْ
كامرأةٍ من الرُخام عاريَهْ
تعيشُ - لا زالتْ - على
قصَّةِ حُبٍّ ماضيَهْ ..

* * *

مَضَتْ قرونٌ خمسةٌ ..
مُـذْ رَحَل (الخليفةُ الصغيرُ) عن إسبانيَهْ ..
ولم تزلْ أحقادُنا الصغيرَهْ
كما هِيَهْ ..
ولم تزلْ عقليّةُ العشيرَهْ ..
في دمِنَا كما هِيَهْ ...
ولم تَزَلْ
حُرِّيّةُ الرأي هُنا
دجاجةً مذبوحةً ..
بسيف كُلِّ طاغيَهْ

حِوارُنا اليوميُّ بالخناجِرِ ..
أفكارُنا أشْبَهُ بالأظافِرِ
مَضَتْ قرونٌ خمسةٌ
ولا تزالُ لَفْظَةُ العُرُوبَهْ
كزهرةٍ حزينةٍ في آنيَهْ ..
كطفلةٍ جائعةٍ ، وعاريَهْ
نصلُبُها ..
على جدار الحقد والكراهيَهْ ..

* * *

مَضَتْ قرونٌ خَمْسَةٌ ..
يا غاليَهْ
كأنَّنا ..
نَخْرُجُ هذا اليومَ من إسبانيَهْ !!.

مدريد ١٩٦٤

غَــرناطَــة

في مَدْخَل (الحمراءِ) .. كان لقاؤُنا
ما أطيبَ اللُّقْيَا بلا ميعـــــادِ

عَيْنَانِ سوداوانِ .. في حَجَرَيْهِما
تتوالَدُ الأبعادُ من أبعـــــادِ ..

هل أنتِ إسبانيـــةٌ ؟ ساءلتُهـــا
قالتْ : وفي غرناطةٍ ميـــلادي

غَرْنَاطَةٌ ! وصَحَتْ قُرُونٌ سَبْعَةٌ
في تَيْنِكَ العينيْنِ بعـــدَ رُقَـــادِ

وأُميَّةٌ راياتُهـــــا مرفوعـــــةٌ
وجيادُهـــــا موصولـــــةٌ بجيادِ

ما أغْرَبَ التاريخَ كيف أعادنـــي
لحفيدةٍ سمراءَ من أحفـــــادي ..

وجْهٌ دِمَشْقيٌّ .. رأيتُ خلالَـــهُ
أجفانَ بلقيسٍ ، وجيـــدَ سُعَـادِ

ورأيتُ منزلَنا القديمَ .. وحُجْرَةً
كانتْ بها أُمّي تَمُدُّ وسَادي

والياسمينةَ ، رُصِّعَتْ بنجومها
والبِرْكةَ الذهبيَّةَ الإنشادِ ..

* * *

ودمشقُ ... أين تكونُ ؟ قلتُ تَرَيْنَها
في شعركِ المُنْسَابِ نَهْرَ سَوادِ

في وجهكِ العربيِّ ، في الثغر الذي
ما زال مختزناً شموسَ بلادي ..

في طيب (جَنَّاتِ العريفِ) ومائِها
في الفُلِّ ، في الريْحَان ، في الكبَّادِ

* * *

سارتْ معي .. والشَعْرُ يلهث خلفَها
كسنابلٍ تُرِكَــتْ بغير حصـــادِ

يتألَّــقُ القُرْطُ الطويـــلُ بأُذْنِهـــا
مثـــلَ الشموع بليلـــةِ الميـــلادِ

ومشيتُ مثلَ الطفل خلــف دليلتي
وورائـــيَ التاريـــخُ كَـوْمُ رَمَـــادِ

الزَخْرَفاتُ أكــــادُ أسمــعُ نَبْضَها
والـزَرْكَـشَـاتُ على السقوف تُنَـادي

قالتْ : هُنَا (الحمراءُ) زَهْوُ جدودنا
فاقـرأْ على جُـدْرانِها أمجــــــادي

أمْجَادُها ! ! ! ومسحتُ جرحاً نازفاً
ومسحـتُ جُرْحَـاً ثانيــاً بفـؤادي

يا ليتَ وارثَـتي الجميلـةَ أدركَـتْ
أنَّ الذينَ عَـنَـتْـهُـمُ أجـــــــدادي

* * *

عانَقْتُ فيها عنـدما ودَّعْـتُـهـا
رَجُلاً يُسمَّى (طارقَ بنَ زيـادِ) ..

غرناطة ١٩٦٥

ياسِتَّ الدنيا يا بيروت

١

يا سِتَّ الدنيا يا بيروتْ ...
مَنْ باعَ أساورَكِ المشغولةَ بالياقُوتْ ؟
مَنْ صادرَ خاتَمَكِ السحريَّ ،
وقصَّ ضفائرَكِ الذهبيَّةْ ؟
من ذَبحَ الفَرحَ النائمَ في عينيكِ الخضراوينْ ؟

من شَطّبَ وجهكِ بالسكّينِ ،
وألقى ماءَ النار على شفتيكِ الرائعتينْ
من سمَّمَ ماءَ البحر ،ورشَّ الحقدَ على الشُطْآنِ الورديَّهْ؟
ها نحنُ أتَيْنا .. معتذرينَ .. ومُعْتَرفينْ
أنَّا اطلقنا النارَ عليكِ برُوحٍ قَبَليَّهْ ..
فقتلنا امرأةً .. كانتْ تُدعى (الحريَّهْ) ...

٢

ماذا نتكلَّمُ يا بيروتُ ..
وفي عينيكِ خلاصةُ حُزْن البشريَّهْ
وعلى نهديكِ المُحْتَرِقَيْن .. رمادُ الحرب الأهليَّهْ
من كان يُفكّرُ أن نتلاقى ـ يا بيروتُ ـ وأنتِ خرابْ؟
من كانَ يُفكّرُ أن تنمو للوردة آلافُ الأنيابْ ؟
من كانَ يُفكّرُ أنَّ العينَ تقاتلُ في يومٍ ضدَّ الأهدابْ؟

ماذا نتكلَّمُ يا لؤلؤتي ؟ .
يا سُنْبلتي .. يا أقلامي .. يا أحلامي ..
يا أوراقي الشعريَّهْ ..
من أينَ أتتْكِ القَسْوَةُ يا بيروتُ ،
وكنتِ برقَّةِ حُوريَّهْ ..
لا أفهمُ كيف انقلب العُصْفورُ الدُوريُّ ..
لقطّةِ ليلٍ وحشيَّهْ ..
لا أفهمُ أبداً يا بيروتْ
لا أفهمُ كيف نسيتِ اللهَ ..
وعُدْتِ لعصر الوثنيَّهْ ..

٣

قُومي من تحت الموج الأزرقِ ، يا عَشْتَارْ
قُومي كقصيدة وردٍ ..
أو قُومي كقصيدة نارْ
لا يُوجَدُ قَبْلَكِ شيءٌ .. بَعْدَكِ شيءٌ .. مِثْلَكِ شيءٌ ..
أنتِ خلاصاتُ الأعمارْ ..
يا حقلَ اللؤلؤِ ..
يا ميناءَ العشقِ ..
ويا طاووسَ الماءْ ..

قُومي من أجل الحُبّ ، ومن أجل الشعراءْ
قومي من أجل الخبز ، ومن أجل الفقراءْ
الحبُّ يريدُكِ .. يا أحلى الملكاتْ ..
والربُّ يريدُكِ ، يا أحلى الملكاتْ
ها أنتِ دفعتِ ضريبةَ حسنكِ مثلَ جميع الحسناواتْ
ودفعتِ الجِزْيةَ عن كُلِّ الكَلِماتْ ..

٤

قُومي من نومكِ ..
يا سُلْطانةُ ، يا نوَّارةُ ، يا قنديلاً مشتعلاً في القلبْ
قُومي كي يبقى العالمُ يا بيروتُ ..
ونبقى نحنُ ..
ويبقى الحُبّْ ...
قُومي .. يا أحلى لؤلؤةٍ أهداها البَحرْ
الآنَ عرفنا ما معنى ..
أن نقتل عُصْفُوراً في الفجرْ
الآنَ عرفنا ما معنى ..
أن ندلقَ فوق سماء الصيف زُجَاجةَ حِبرْ
الآنَ عرفنا ..
أنَّا كنّا ضِدَّ اللهِ .. وضِدَّ الشِّعرْ ..

٥

يا سِتَّ الدنيا يا بيروتْ ..
يا حيثُ الوعدُ الأوَّلُ .. والحبُّ الأوَّلْ ..
يا حيث كتبنَا الشعرَ ..وخبَّئناهُ بأكياسِ المُخْمَلْ ..
نعترفُ الآنَ .. بأنَّا كُنَّا يا بيروتُ ،
نُحبُّكِ كالبَدْو الرُحَّلْ ..
ونُمارسُ فِعْلَ الحُبّ .. تماماً
كالبَدْو الرُحَّلْ ...
نعترفُ الآنَ .. بأنّكِ كُنْتِ خليلَتَنَا
نأوي لفِراشِكِ طولَ الليل ...
وعند الفجر ، نهاجرُ كالبدو الرُحَّلْ

نعترفُ الآنَ .. بأنّا كُنَّا أُمِيّينَ ..
وكنّا نجهلُ ما نفعلْ ..
نعترفُ الآنَ ، بأنّا كُنَّا من بين القَتَلَهْ ..
ورأينا رأسَكِ ..
يسقُطُ تحت صُخُورِ الرَوْشَةِ كالعصفورْ
نعترفُ الآنَ ..
بأنّا كُنَّا ـ ساعةَ نُفِّذَ فيكِ الحُكْمُ ـ
شُهُودَ الزورْ ..

٦

نعترفُ أمامَ الله الواحِدِ ..
أنَّا كنَّا منكِ نَغارُ ..
وكانَ جمالُكِ يؤذينا ..
نعترفُ الآنَ ..
بأنَّا لم نُنْصِفْكِ .. ولم نَعْذُرْكِ .. ولم نَفْهَمكِ ..
وأهدَيْنَاكِ مكانَ الوردةِ سِكّينَا ...
نعترفُ أمامَ الله العادلِ ...
أنَّا راودناكِ .. وعاشرناكِ .. وضاجعناكِ ..
وحَمَّلناكِ معاصينا ..
يا سِتَّ الدنيا ، إنّ الدنيا بعدكِ ليستْ تكفينا ..
الآنَ عرفنا .. أنَّ جذوركِ ضاربةٌ فينا ..
الآنَ عرفنا .. ماذا اقترفتْ أيدينا ..

٧

اللهُ .. يفتِّشُ في خارطة الجنّة عن لُبنانْ
والبحرُ يفتّشُ في دفتره الأزرقِ عن لُبنانْ
والقَمَرُ الأخضرُ ..
عادَ أخيراً كي يتزوَّجَ من لُبنانْ ..
أَعطيني كفَّكِ يا جوهرةَ الليل ، وزنبقةَ البلدانْ
نعترفُ الآنَ ..
بأنَّا كنَّا ساديينَ ، ودَمَوِيينَ ..
وكُنَّا وكلاءَ الشيطانْ

يا سِتَّ الدنيا يا بيروتْ ..
قومي من تحت الرَدْم ، كزهرة لوزٍ في نيسانْ
قومي من حُزْنكِ ..
إنَّ الثورةَ تُولَدُ من رَحِمِ الأحزانْ
قومي إكراماً للغاباتِ ..
وللأنهار ..
وللوديانْ ..
قُومي إكراماً للإنسانْ ..
إنَّا أخطأنا يا بيروتُ ..
وجِئْنَا نلتمسُ الغُفْرانْ ..

٨

ما زلتُ أُحِبُّكِ يا بيروتُ المجنونَهْ ..
يا نهرَ دماءٍ وجواهرْ ..
ما زلتُ أُحبّكِ يا بيروتُ القلبِ الطيّبِ ..
يا بيروتُ الفَوْضَى ..
يا بيروتُ الجوعِ الكافرِ ... والشَبَعِ الكافرْ ..
ما زلتُ أُحبّكِ يا بيروتُ العدلِ ..
ويا بيروتُ الظلمِ ..
ويا بيروتُ السَبْيِ ..
ويا بيروتُ القاتلِ والشاعرْ ..

ما زلتُ أُحبّكِ يا بيروتُ العِشْقِ ..
ويا بيروتُ الذبحِ من الشِرْيانِ إلى الشِرْيانْ ..
ما زلتُ أُحبّكِ رغمَ حماقات الإنسانْ
ما زلتُ أُحبّكِ يا بيروتُ ..
لماذا لا نبتدىءُ الآنْ ؟؟

سَبْعُ رسائل ضائعة
في بريد بيروت

١

يا حبيبَهْ :

بعد عامينِ طويلينِ من الغُرْبةِ والنَفْي ..

تَذَكّرتُكِ في هذا المساءْ ..

كنتُ مجنوناً بعينيكِ ..

ومجنوناً بأوراقي ..

ومجنوناً لأنَّ الحبَّ جاءْ ..

ولأنَّ الشعرَ جاءْ ..

كنتُ أبكي ضاحكاً مثلَ المجاذيبِ .. لأنّي

أستطيعُ الآنَ ، يا سيّدتي ، أن أَتذكَّرْ ..

مُدْهِشٌ أن أتذكَّرْ ..

مدهشٌ أن أتذكَّرْ ..

اليس سهلاً في زمان الحرب أن يسترجعَ الانسانُ
وجه امرأةٍ يعشقُها ..
فالحربُ ضدَّ الذاكرَهْ ...
ليس سهلاً في زمان القبح ..
أن أجمعَ أزهارَ المانوليا ..
والفراشاتِ التي تخرجُ ليلاً من شبابيك العيون الماطرَهْ
قَذَفَتْني هذه الحربُ بعيداً عن محيط الدائرَهْ ..
أَلْغَتِ الخطَّ الحليبيَّ الذي ينزل من ثديكِ ..
نحو الخاصرَهْ ..

٢

يا صديقهْ :
عائدٌ من زَمَنِ اللاشِعْر .. عاري القدمينْ
عائدٌ دونَ شفاهٍ ..
عائدٌ دون يدينْ ..
إنَّ حربَ السنتينْ
كَسَرتْني ..
كسرتْ سنبلةَ القمح التي تنبتُ بين الشفتينْ ..
جعلتْني عاطلاً عن عَمَل الحُبّ ...
فلم أقرأْ مزاميري لعينيكِ ..
ولا قابلتُ عصفوراً غريباً ...
أو قصيدَهْ ...

أفقَدَتْني ذلكَ الطهرَ الطفوليَّ الذي يُدخلني مملكةَ الله ،
ويعطيني مفاتيحَ اللغات النادرَهْ ..
فاعذريني .. إن تأخرّتُ عن الوعد قليلا ..
فلقد كانَ وصولي مستحيلا ..
وبريدي مستحيلا ..
إنَّ آلافَ الحواجزْ
وقفتْ ما بين عينيكِ .. وبيني ..
أطلقوا النارَ على الحُلْم فأردوه قتيلا ..
أطلقوا النارَ على الحُبّ فأردوه قتيلا ..
أطلقوا النارَ على البحر ، على الشمس ، على الزرع ،
على كُتُب الأطفال ، قصّوا شعرَ بيروتَ الطويلا ..
سرقوا العمرَ الجميلا ...

٣

يا بعيدَهْ :
أيَّ أخبارٍ تُريدينَ عن الشِّعْر وعنّي ؟..
أخذوا بيروتَ منّي ..
أخذوا بيروتَ ، يا سيّدتي ، منكِ ومنيّ ..
سرقوا (مَنْقُوشَةَ الزَعْتَر) من بين يديْنا ..
سرقوا (الكورنيشَ) .. والأصدافَ ..
والرملَ الذي كان يغطّي جسديْنا ..
سرقوا منا زمانَ الشعر ، يا لؤلؤتي ،
والكتاباتِ التي تسقُطُ مثل الكرَزِ الأحمر
من بين الأصابعْ ..

سرقوا رائحةَ البُنّ ..
وأحلامَ المقاهي .. وقناديلَ الشوارعْ
ذلك الصوتُ الذي يصدر عنّي ليس صوتي ..
انني أكتبُ من داخل موتي ..
أينَ أنتِ الآنَ .. يا مَنْ لم أجد في هذه الغابةِ ..
صدراً يحتويني .. غيرَ أنتِ ؟..
سرقوا مني طواحيني .. وفُرساني .. وفُرْشَاتي ..
وألواني ... وأشيائي الصغيرهْ ..
واليواقيتَ التي جئتُ بها من آخر الدنيا لفستان الأميرَهْ ..
لم أكنْ أعلم يا سيّدتي ..
أنَّ أشيائي الصغيرَهْ ..
هي أشيائي الكبيرَهْ ..

٤

يا رقيقهْ :
جاءني هاتفُكِ اليومَ خجولاً مثل عطر البرتقالْ
سائلاً عني .. وهل أجملُ من هذا السؤالْ ؟..
إنني أحيا ..
ولكنْ ما الذي يعنيه يا سيّدتي
أن يكونَ المرءُ موجوداً على قيد الحياةْ ؟ ..
إنْ تُحِبّيني اسأليني كيفَ حالُ الكلِماتْ
دخلتْ في جَسَد الشعر .. ألوفُ الطَلَقاتْ ..

نحنُ من عامينِ ..
لم نُزْهِرْ .. ولم نورِقْ..ولم نطرحْ ثَمَرْ ..
نحنُ من عامينِ لم نُبْرقْ .. ولم نُرعِدْ ..
ولم نركض كمجنونيْنِ ـ يا سيّدتي ـ تحت المطَرْ ..
نحنُ من عامينِ ..
لم نخرج عن المألوف في العشقِ ..
ولم نخرج على اليوميِّ والعاديِّ ..
لم ندخُلْ أقاليمَ الغرابَهْ ..

آهِ .. كم عانيتُ من داء الكآبَهْ
آهِ .. كم عانيتُ من موت الكتابَهْ
شنقوني بخيوط المفرداتْ
طَرَدُوني ..
خلفَ أسوار اللغاتْ ..
أغلقوا في وجه حُبّي الطُرُقَاتْ ..
فَتَّشوني ..
لم أكنْ أحمل إلا وردةَ الشعر ..
وحزني ..
وجنوني ..

لم أكنْ أحملُ ـ إلا أنتِ يا سيّدتي ـ بين عُيوني ..
ولهذا أرجَعوني
كنتُ ، يا سيّدتي ، في موقِع الحبِّ ..
لهذا لم أكنْ في جملة المنتصرينْ ..
كنتُ يا سيّدتي ، في جانب الشِّعرْ .. لهذا ..
صنَّفوني بورجوازياً صغيراً ..
وأضافوني إلى قائمة المنحرفينْ ..
لم أكنْ في زمن القبح قبيحاً ..
إنما كنتُ صديقَ الياسمينْ ...

٥

يا أثيرَهْ :
أين أنتِ الآنَ يا مَنْ لم أجد عنوانَ عينيكِ
على كلِّ الخرائطْ ..
أينَ أنتِ الآنَ يا مَنْ لم أجد آثارَ أقدامكِ في كلِّ الفنادقْ
لم أعدْ أعرف شيئاً عنكِ ..
في أيِّ بلادٍ أنتِ ؟
ماذا تفعلينَ اليومَ ؟.
ماذا تشعرين الآنَ ؟.
هل ضيَّعتِ إيمانكِ مثلي بجميع الآلهَهْ ..
وتقاليد القبائلْ ؟ .

هل تُحِبّينَ كما كنتِ ؟
وتهتمّينَ بالشِّعْرِ كما كنتِ ؟
وتشتاقينَ للشوق كما كنتِ ؟.
أم انَّ الحربَ داستْ ورقَ الورد..وأعناقَ السنابلْ ؟
بعثَرَتْنا هذه الحربُ اللئيمَهْ ..
بشَّعَتْنا .. شوَّهتْنا ..
أحرقتْ كلَّ الملفّات القديمَهْ ..
لا تُجيبيني .. إذا كانتْ سؤالاتي غريبَهْ ..
كلُّ ما يشغل بالي يا حبيبَهْ ..
أن تكوني أنتِ في خيرٍ .. وعيناكِ بخيرْ ..

٦

أينَ بيروتُ التي تختالُ بالقُبَّعةِ الزرقاءِ مثلَ المِلِكَهْ ؟
أينَ بيروتُ التي كانتْ على أوراقنا ..
ترقصُ مثلَ السمَكَهْ ..
ذَبحُوها ..
ذَبحُوها ..
وهي تستقبلُ ضوءَ الفجر مثل الياسمينَهْ ..
من هو الرابحُ من قتل مدينَهْ ؟
ضيّعوا بيروتَ ، يا سيّدتي
ضيّعوا أنفسَهُمْ إذْ ضيّعوها ..
سقطت كالخاتَم السحريِّ في الماء .. ولم يلتقطُوها ..
طاردُوها مثلَ عصفورٍ ربيعيٍّ إلَى أنْ قتلوها ...

هذه الورديَّةُ الجسم التي تلبس في معصمها البحرَ سِوارا
كم قطفنا البُنَّ من أشجار نهديها ..
وحوَّلنا جبالَ الثلج نارا ...
واكتشفناها رصيفاً .. فرصيفا ..
وبنيناها جداراً فجدارا ...
كم دخلنا بيتَها البحريَّ أطفالاً صغارا ..
فلعبنا .. ورقصنا ..
وخرجنا نحمل الشمسَ بأيدينا ..
وأسماكاً .. وخبزاً .. ومَحَارا ...
فلماذا قتلوها ؟
هذه الأنثى التي كانت ترشُّ الماءَ .. في وجه الصحارى؟

٧

آهِ يا بيروتُ .. يا أُنثايَ من بين ملايين النساءْ
يا رحيلاً برتقالياً على وردٍ .. وبرقُوقٍ .. وماءْ ..
يا طموحي ـ عندما أكتب أشعاري ـ لتقريب السماءْ
أيَّ أخبارٍ تريدينَ عن الحُبّ .. وعنّي ..
ومكاتيبي رمادٌ ..
وأحاسيسي رمادْ ..

سرقوا مني مساحاتٍ من الزُرْقةِ ليست تُستعادْ
ومساحاتٍ من الدهشةِ ليست تستعادْ ..
واحتمالاتِ طيورٍ سوف تأتي ..
واحتمالاتِ كلامٍ .. سوف يأتي ..
واحتمالاتٍ لعشقٍ ما أتى بعدُ ...
ولكنْ سوفَ يأتي ...
سوفَ يأتي ...
سوفَ يأتي ...

بيروتُ محظيَّتكُمْ
بيروتُ حبيبتي

١

سَامحِينا ..
إنْ تركناكِ تموتينَ وحيدَهْ ..
وتسلّلْنا إلى خارج الغرفة نبكي كجنودٍ هاربينْ
سامحينا ..
إن رأينا دَمَكِ الورديَّ ينسابُ كأنهار العقيقْ
وتفرَّجْنا على فِعْلِ الزِنا ..
وبقينا ساكتينْ ...

٢

آهِ .. كم كُنَّا قبيحينَ ، وكُنَّا جُبَنَاءْ ..
عندما بعناكِ ، يا بيروتُ ، في سُوقِ الإماءْ
وحجزنا الشقَقَ الفخمةَ في حيٍّ (الإليزيه) وفي
(مايْفير) لندنْ ..
وغسَلنا الحزنَ بالخمرةِ ، والجِنْسِ ، وقاعاتِ القِمارْ
وتذكَّرْنا ـ على مائدة الروليتِ ـ أخبارَ الديارْ
وافتقدنا زمنَ الدِفْلى بلبنانَ ..
وعصرَ الجُلَّنَارْ ..
وبكيْنا مثلما تبكي النساءْ ...

٣

آهِ .. يا بيروتُ ،
يا صاحبةَ القَلْبِ الذَهَبْ
سامحينا ...
إن جعلناكِ وقُوداً وحَطَبْ
للخلافاتِ التي تنهشُ من لحم العَرَبْ
منذُ أن كانَ العَرَبْ !!

٤

طمئنيني عنكِ ... يا صاحبةَ الوجه الحزينْ
كيف حالُ البحرِ ؟
هل هُمْ قتلوهُ برصاص القنص مثل الآخرينْ ؟
كيفَ حالُ الحبّ ؟
هل أصبح أيضاً لاجئاً ... بين ألوف اللاجئينْ ...
كيف حالُ الشِّعْر ؟
هل بَعْدَكِ ـ يا بيروتُ ـ من شِعْرٍ يُغنَّى ؟
ذَبحَتْنَا هذه الحربُ التي من غير معنى ..
أفرغَتْنا من معانينا تماماً ..
بَعْثَرَتْنا في أقاصي الأرضِ ..
منبوذينَ .. مسحوقينَ .. مَرْضَى ... مُتْعَبِينْ ..
جَعَلَتْ مِنَّا ـ خلافاً للنُبُوءاتِ ـ يهوداً تائهينْ ....

٥

إصفحي ، سيّدتي بيروتُ ، عنَّا
نحنُ لم نهجركِ مختارينَ .. لكنَّا قرِفْنَا ..
من مراحيض السياسَهْ ..
وَمَلَلْنا ..
من ملوكِ السيركِ ... والسيركِ .. وغِشِّ اللاعبينْ
وكفرنَا ..
بالدكاكين التي تملأ أرجاءَ المدينَهْ ..
وتبيعُ الناسَ حقداً وضغينَهْ ..
وبطاطينَ .. وسجّاداً .. وبنزيناً مهرّبْ ..
آهِ يا سيدتي كم نتعذَّبْ ..
عندما نقرأ أن الشمسَ في بيروتَ ، صارتْ
كُرَةً في أرجُلِ المرتزقينْ ...

٦

ما الذي نَكتُبُ ، يا سيِّدتي ؟
نحنُ محكومونَ بالموتِ ، إذا نحنُ صَدَقْنَا ...
ثمَّ محكومون بالموتِ ، إذا نحنُ كذبْنَا
ما الذي نكتُبُ يا سيِّدتي ؟
نحنُ لا نملكُ أن نحتجَّ ..
أو نصرخَ ..
أو نبصقَ ..
أو نكشفَ عن خَيْبَتِنا ..
أو نتمنّى ...
أخْرَسَتْنا هذه الحربُ التي من غير معنى ...

٧

طَلَبوا منَّا بأن ندخلَ في مدرسة القتلِ ..
ولكنّا رفضنا ..
طلبوا أن نشطُرَ الربَّ لنصفينِ ..
ولكنَّا اختجلنا ..
إننا نُؤمنُ باللهِ ..
لماذا جعلوا اللهَ هُنا .. من غير معنى ؟
طلبوا منَّا بأن نشهَدَ ضَدَّ الحبِّ ..
لكنْ ما شَهِدنا ..
طلبوا مِنَّا .. بأن نشتُمَ بيروتَ التي قمحاً .. وحبّاً ..
وحناناً ... أطعَمَتْنا ...

طلبوا ..
أن نقطعَ الثديَ الذي من خيرِهِ ، نحنُ رَضِعْنا ..
فاعتذرنا ..
ووقفنا ضدَّ كلِّ القاتلينْ
وبقينا مع لبنانَ سهولاً .. وجبالا ..
وبقينا مع لبنانَ جنوباً .. وشِمالا ..
وبقينا مع لبنانَ صليباً .. وهلالا ..
وبقينا مع لبنانَ الينابيعِ ..
ولبنانَ العناقيدِ ..
ولبنانَ الصَبَابَهْ ..
وبقينا مع لبنانَ الذي علَّمنا الشِعرَ ..
وأهدانا الكتابَهْ

٨

آهِ يا سيِّدتي بيروتُ ..
لو جاءَ السلامْ ..
ورجعنا ، كالعصافير التي ماتَتْ من الغُرْبَة والبَرْدِ ..
لكي نبحثَ عن أعشاشِنا بين الحُطَامْ ..
ولكيْ نبحث عن خمسينَ ألفاً ..
قُتلوا من غير معنى ...
ولكي نبحثَ عن أهلٍ وأحبابٍ لنا
ذَهَبوا من غير معنى ..
وبيوتٍ .. وحقولٍ .. وأراجيحَ .. وأطفالٍ ..
وألعاب .. وأقلامٍ .. وكرّاساتِ رَسْمٍ ..
أُحرِقَتْ من غير معنى ...

آهِ ... يا سيّدتي بيروتُ ..
لو جاءَ السلامْ
ورجعنا ..
كطيور البحر ، مذبوحينَ شوقاً وحنينا
وبنا شوقٌ إلى (منقوشة الزعتر) .. والليل ..
ومَنْ كانوا يبيعون عقودَ الياسمينْ
فمن الجائز ، يا بيروتُ ، أن لا تعرفينا ..
قد تغيَّرتِ كثيرا ...
وتغيّرنا كثيرا ...
وكبرنا نحنُ ـ في عامينِ ـ آلافَ السنينْ

٩

إحتملنا نَفْيَنا عشرينَ شهرا ..
وشربنا دمعنا عشرين شهرا ..
وبحثنا في زوايا الأرض عن عشقٍ جديدٍ
غير أنَّا ما عشقنا ..
وشربنا الخمرَ من كلّ الدوالي ..
غير أنَّا ما سكِرنا ..
وبحثنا عن بديلٍ لكِ ،
يا أعظمَ بيروتَ ..
ويا أطيبَ بيروتَ ..
ويا أطهرَ بيروتَ ...
ولكنْ ما وجدنا ...

ورجعنا ..
نلثُمُ الأرضَ التي أحجارُها تكتُبُ شِعْرا ..
والتي أشجارُها تكتُبُ شعرا ..
والتي حيطانها تكتُبُ شعرا ...
وأخذناكِ إلى الصدرِ ..
حقولاً .. وعصافيرَ .. وكورنيشاً .. وبحرا ..
وصرخنا كالمجانين على سطح السفينَهْ :
أنتِ بيروتُ ...
ولا بيروتَ أُخرى ...

إلى بيروت الأنثى مع الإعتذار

كـانَ لبنـانُ لكـمْ مروحةً ...
تنشُرُ الألوانَ ، والظـلَّ الظليـــلا

كـم هربتُـمْ من صحاراكمْ إليهِ ..
تطلبونَ الماءَ .. والوجـهَ الجميلا ..

واغتسلتُـمْ بنـــدى غاباتـــــهِ
واختبأتـمْ تحت جَفْنَيْهِ طويـــلا

وتسلّقتُمْ على أشجاره
وسرحتُمْ في براريه وُعُولا

وشربتُمْ من خوابيه نبيذاً
وسمعتُمْ من شواديه هديلا

وقطفتُمْ من روابيه الخُزَامَى
والعيونَ الخُضْرَ .. والخدَّ الأسيلا ..

واقتنيتُمْ شمسَهُ لؤلؤةً
وركبتُمْ أنجمَ الليل خيولا ..

إنه علَّمكُـــمْ أن تعشقـــوا ..
لم يكن لبنانُ في العشـق بخيــلا ..

إنَّهُ عَلَّمكُـمْ أن تقــــرأوا ...
هل تقولــونَ لهُ : « شُكْراً جزيلاً » ..

*

آهِ يا عشَّاقَ بيروتَ القُـدامَـــى
هل وجدتمْ بعد بيروتَ البديلا ؟

إن بــيروتَ هي الأنثى التي ...
تمنحُ الخصْبَ ، وتُعطينا الفُصُولا ..

إن يمُـتْ لبنانُ .. مِتُّــمْ معـهُ
كلُّ من يقتُلُـه .. كانَ القتيـلا ..

كلُّ قُبْحٍ فيـهِ ، قُبْـحٌ فيكُمُ
فأعيدوهُ .. كما كـانَ جميلا ..

إنَّ كونـاً ليس لبنـانُ بـه
سوف يبقى عَدَماً أو مستحيلا ..

*

كلُّ مـا يطلُبُـه لبنـانُ منكـمْ
أن تُحِبُّـوهُ .. تُحِبُّـوه قليـلا ...

أنا يا صديقةُ.. مُتْعَبٌ بعروبَتي

ألقيت في المهرجان الذي أقامته
الأمانة العامة لجامعة الدول العربية
في مدينة تونس بتاريخ ٢٢/٣/١٩٨٠
بمناسبة مرور خمسة وثلاثين عاماً
على تأسيس الجامعة العربية .

يا تُونُسُ الخضراءُ .. جئتُكِ عاشقاً
وعلى جبيني وردةٌ وكتابُ

إنّي الدمشقيُّ الذي احترفَ الهوىٰ
فاخْضَوْضَرَتْ لغنائهِ الأعشابُ

أَحْرَقْتُ من خلفي جميعَ مراكبي
إنَّ الهوى أنْ لا يكونَ إيابُ

أنا فوقَ أجفان النساء مُكَسَّرٌ
قِطَعاً ، فعُمْري الموجُ والأخشابُ

لم أَنْسَ أسماءَ النساء .. وإنّما
للحُسْنِ أسبابٌ ، ولي أسبابُ

يا ساكناتِ البحر .. في قَرْطَاجَةٍ
جَفَّ الشذا ، وتفرّق الأصحابُ

أينَ اللواتي حُبُّهُنَّ عبادةٌ
وغيابُهُنَّ ، وقُرْبُهنَّ ، عَذابُ

اللابساتُ قصائدي ومَدَامعي
عاتبتُهُنَّ فما أفادَ عِتابُ

أحْبَبْتُهُنَّ ، وهُنَّ ما أحْبَبْنَني
وصَدَقْتُهُنَّ ، ووعْدُهُنَّ كِذابُ

إنيّ لأشعُرُ بالدُوار .. فناهدٌ
لي يطمئنٌّ .. وناهدٌ يرتابُ

هل دولةُ الحبٍّ التي أسَّسْتُها
سَقَطتْ عليَّ .. وسُدَّتِ الأبوابُ

تبكي الكؤوسُ ، فبعد ثغر حبيبتي
حَلَفَتْ بأن لا تَسْكرَ الأعنابُ

أيصدُّني نَهْدٌ تعبتُ برسمِهِ ؟
وتخُونُني الأقراطُ والأثوابُ ؟

ماذا جرى لممالكي وبيارقي ؟
أدعو ربابَ .. فلا تُجيبُ رَبَابُ

أأُحاسِبُ امرأةً على نسيانِها
ومتى استقامَ مع النساء حِسَابُ؟

ما تُبْتُ عن عِشْقي .. ولا استغفرتُهُ
ما أسْخَفَ العُشَّاقَ لو هُمْ تابُوا ...

٢

قَمَرٌ دمشقيٌّ يسافرُ في دمي
وبلابلٌ .. وسنابلٌ .. وقِبَابُ

الفُلُّ يبدأ من دمشقَ بياضَهُ
وبعطرها تتطيَّبُ الأطيابُ

والماءُ يبدأُ من دمشقَ .. فحيثُما
أسندتَ رأسَكَ ، جدولٌ ينسابُ

والشِعْــرُ عصفورٌ يمــدُّ جنــاحَــهُ
فــوق الشــآم .. وشــاعــرٌ جــوَّابُ

والحبُّ يبدأ من دمشقَ .. فـأهلُنا
عبدوا الجمـالَ ، وذوَّبُـوهُ .. وذابُوا ..

والخيلُ تبـدأ من دمشــقَ مســـارَها
وتُشَــدُّ للفتــح الكبـير رِكَـــابُ

والدهــرُ يبــدأ من دمشــقَ .. وعنـدها
تبقـى اللغـاتُ ، وتُـحفَـظُ الأنســابُ

ودمشـــقُ تعطـي للعــروبــة شكلَـهــا
وبأرضِهــا ، تتشكَّـــلُ الأحــقــابُ

٣

بـدأ الزِفـافُ ، فمـن تكونُ مُضيفتي
هذا المسـاءَ ، ومنْ هـو العَـرَّابُ ؟

أأنـا مُغنّـي القصر .. يا قـرطَاجَةُ
كيـفَ الحضـورُ ؟ ومـا عليَّ ثيابُ

ماذا أقـولُ ؟ فمـي يفتِّشُ عـن فمي
والمُفْرَداتُ حجـارةٌ وتُـرابُ ..

فمـآدبٌ عـربيـةٌ .. وقصـائدٌ
همـزيَّـةٌ .. ووسـائـدٌ وحُبَابُ

لا الكأسُ تُنسينـا مسـاحـةَ حـزنـنا
يومـاً .. ولا كـلُّ الشـرابِ شَرَابُ

من أين يـأتي الشعـرُ يا قَرْطاجَـــةُ
واللهُ مـــاتَ .. وعـــادتِ الأنْصَـــابُ

من أينَ يأتـي الشِعْرُ ؟. حيـن نهارُنـا
قَـمْـعٌ ، وحيـنَ مساؤنـا إرهـــابُ

سَـرَقـوا أصابعَنـا .. وعِطْـرَ حُرُوفنا
فبـأيِّ شـيءٍ يكتُـبُ الكُــــتَّـابُ ؟

والحُكْـمُ شُـرْطـيٌّ يسَـيـرُ وراءَنـا
سِـــرَّاً .. فَنَكْـهَـةُ خُـبْـزِنـا استجوابُ

الشِعْـرُ .. رغْـمَ سِياطِـهِـمْ وسُجُونِهِمْ
مَلِـكٌ .. وهُـمْ في بـابــهِ حُجَّابُ ..

٤

من أينَ أدخُلُ في القصيدة يا تُرى؟
وحدائقُ الشعرِ الجميلِ .:. خرابُ

لم يبقَ في دار البلابل بُلْبُلٌ
لا البحتريُّ هُنا .. ولا زِرْيَابُ

شُعَرَاءُ هذا اليوم ، جِنْسٌ ثالثٌ
فالقولُ فوضى .. والكلامُ ضَبَابُ

يتكلّمونَ مع الفراغ .. فما هُمُ
عَجَمٌ إذا نَطَقُوا .. ولا أَعْرابُ

اللاهثونَ على هوامش عُمْرِنا
سِيَّان إن حَضَرُوا ، وإنْ هُمْ غابُوا ..

يتهكَّمُونَ على النبيذ مُعَتَّقاً
وهُمُ على سطح النبيذ ذُبَابُ

الخمرُ تبقى ، إنْ تقادَمَ عَهْدُها
خمراً .. وقد تتغيَّرُ الأكوابُ

٥

من أين أدخُلُ في القصيدة يا تُرى ؟
والشمسُ فوق رؤوسنا سِرْدابُ

إنَّ القصيدة ليسَ ما كتبتْ يدي
لكنَّها ما تكتُبُ الأهدابُ ..

نارُ الكتابة أحرقتْ أعمارَنا
فحياتُنا الكبريتُ والأحطابُ

ما الشِعْرُ ؟ ما وَجَعُ الكَتَابةِ ؟ ما الرؤىٰ ؟
أُولى ضحـايـانـا هُـمُ الكُـتَّــــابُ

يُـعْـطُـونَـنَـــا الفَـرَحَ الجميلَ .. وحظُّـهُـمْ
حظُّ البغـايــا .. ما لهُــنَّ ثَــــوابُ

يا تــونُــسُ الخضـــراءُ .. هــــذا عالــمٌ
يُـثْـري بـه الأُمِـيُّ .. والنصَّـــابُ ..

فمــن الخليج إلى المحيط .. قبــائلٌ
بَطِــرَتْ ، فـــلا فِـكْـــرٌ ولا آدابُ

في عصـر زَيْـتِ الكـازِ .. يطلُبُ شاعرٌ
ثوبــاً ، وترفُـلُ بالحـرير قِحَـابُ !!!

٦

هل في العُيُون التُونُسيَّةِ شاطِئٌ
ترتاحُ فوقَ رمالِهِ الأعصابُ ؟

أنا يا صديقةُ مُتْعَبٌ بِعُرُوبتي
فهل العروبةُ لَعْنَةٌ وعِقابُ ؟

أَمْشي على وَرَق الخريطة خائفاً
فعلى الخريطة كلُّنا أغْرابُ ..

أتكلَّمُ الفُصْحَى أمام عشيرتي
وأُعيدُ .. لكنْ ما هناكَ جوابُ

لولا العباءاتُ التي التفُّوا بها
ما كنتُ أحسَبُ أنَّهُمْ أعرابُ ..

يتقاتلون على بقايا تَمْرَةٍ
فخناجرٌ مرفوعةٌ وحِرابُ

قُبُلاتُهُمْ عربيّةٌ .. من ذا رأى
فيما رأى ، قُبَلاً لها أنيابُ

٧

يا تونُسُ الخضراءُ .. كأسي عَلْقَمٌ
أَعَلَى الهزيمة تُشْربُ الأنخابُ ؟

وخريطةُ الوطن الكبيرِ فضيحةٌ
فحواجزٌ .. ومخافِرٌ .. وكِلابُ

والعالمُ العربيُّ .. إمَّا نَعْجَةٌ
مذبوحةٌ ، أو حاكمٌ قَصَّابُ

والعـالمُ العـربيُّ يـرهُـنُ سَيْفَــــهُ
فحكـايـةُ الشَــرَف الـرفيـع سَرَابُ

والعـالـمُ العـربـيُّ يَخْزِنُ نَـفْطَـهُ
في خِصْيَتَيْـــهِ .. وربُّـــكَ الوهَّابُ

والنـاسُ قَبْـلَ النفط أو مــن بعدِهِ ،
مُسْتَنْـزَفـونَ ، فسَــادَةٌ وَدَوَابُ

٨

يا تُـونُسُ الخضـراءُ .. كيـف خلاصُـنـا؟
لم يبــقَ مــن كُـتُـب السـمـــاء كِتابُ ..

ماتَــتْ خيولُ بنـي أميّـــةَ كـلُّهـا
خَـجَـلاً .. وظَـلَّ الصَـرْفُ والإعـرابُ

فكأنَّما كُتُبُ التراث خُـــرَافــةٌ
كُبرى ، فـــلا عُـمَــرٌ .. ولا خطَّابُ

وبيـــارقُ ابــنِ العاص تمســحُ دمْعَـهـا
وعـزيــزُ مصــرٍ بالفُــصَـام مُصَـابُ

مَـنْ ذا يُصدّقُ أنَّ مصــرَ تهــوَّدَتْ
فمُـقَــامُ سيِّــدِنــا الحُـسَـيْــنِ يَـبَـابُ

ما هــذِهِ مصرٌ .. فـــإنَّ صَـــلَاتَـها
عِبْـرِيَّـةٌ .. وإمـامَـهـا كـــذَّابُ

مـا هــذه مصــرٌ .. فـإن ســمـاءَها
صغُـــرتْ ، وإنَّ نســـاءَهـا أسلابُ

إنْ جاءَ كافورٌ .. فكم من حاكمٍ
قَهَرَ الشعوبَ ، وتاجُهُ قُبْقَابُ...

٩

بَحْرِيَّةَ العَيْنَيْنِ .. يا قَرْطَاجةٌ
شاخَ الزمانُ ، وأنتِ بَعْدُ شبابُ

هل لي بِعَرضْ البحر نِصْفُ جزيرةٍ؟
أم أنَّ حبّي التونسيَّ سَرَابُ

أنا مُتْعَبٌ .. ودفاتري تَعِبَتْ معي
هل للدفاترِ يا تُرى أعصابُ ؟

حُزْني بَنَفْسَجَةٌ يُبلِّلُها النَدَىٰ
وضِفافُ جرحي روضةٌ مِعْشَابُ

لا تَعْذُليني .. إن كشَفْتُ مواجعي
وجهُ الحقيقةِ ما عليه نِقَابُ

إنَّ الجُنُونَ وراءَ نِصْفِ قصائدي
أَوَليسَ في بعض الجنون صَوَابُ ؟

فتحمّلي غَضَبي الجميلَ ، فَرُبّما
ثارتْ على أمر السماء هِضَابُ

فإذا صرختُ بوجه من أَحْبَبْتُهُمْ
فلكيْ يعيشَ الحُبُّ والأحْبَابُ

وإذا قسوتُ على العروبة مَرَّةً
فلقد تضيقُ بكُحْلها الأهدابُ

فلربَّما تَجِدُ العروبةُ نَفْسَها
ويضيءُ في قلب الظلام شِهابُ

ولقد تطيرُ من العُقَال حَمَامةٌ
ومن العباءة تطلع الأعشابُ

١٠

قَرْطَاجةٌ .. قَرْطَاجةٌ .. قَرْطاجَةٌ ..
هل لي لصدركِ رَجْعَةٌ ومَتَابُ؟

لا تغضبي منّي .. إذا غَلَبَ الهوى
إنَّ الهوى في طبعه غَلَّابُ

فَذُنُوبُ شِعْري كُلُّها مَغْفورَةٌ
واللهُ ـ جلَّ جلالُهُ ـ التوَّابُ ..

فهرست

القصيدة	الصفحة

القصيدة	الصفحة

منشورات نزار قباني
ص . ب ٦٢٥٠
بيروت